

المعجزة في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيها

إعداد

د/ محمد كبير أحمد شودري

أستاذ مساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية الشريعة وأصول الدين

جامعة الملك خالد أبها

المملكة العربية السعودية

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الثالث ٢٠١٩م

المعجزة في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيها

محمد كبير أحمد شودري
أستاذ مساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة وأصول الدين جامعة الملك خالدأبها
المملكة العربية السعودية
Mohamedshodary@gmail.com

ملخص البحث

اشتملت هذه الدراسة على موضوع مهم من موضوعات العقيدة، وهو: المعجزة والمعجزات هي الآيات والبراهين التي أيّد الله بها أنبياءه ورسله لإثبات صدق دعواهم للنبوة. ومن ميزة هذه الآيات أنها فوق مقدور البشر، وخارج علومهم ومعارفهم المادية المحدودة، كما أنها خارقة للعادات المشاهدة المعروفة، والقوانين المألوفة.

بينت في البداية مفهوم المعجزة، ووضَّحت بعد ذلك أنواع المعجزة، وبعض النماذج لأهم معجزات الأنبياء الحسية والمعنوية، كما ذكرتُ الفرق بين المعجزة وبين الخوارق الأخرى. ثم وضَّحت إثبات المعجزة، ودلالتها على صدق الرسول – ﷺ– ومناقشة شبهات المنكرين في ذلك، وأتبعته اختلاف الطوائف والفرق في دلالة المعجزة مع بيان الراجح في هذه المسألة.
الكلمات المفتاحية: المعجزة – الأشاعرة – المعتزلة – البينة – البرهان

والله الهادي إلى سواء السبيل.

Abstract

This study has included one of the important topics that is related to creed which is; Miracle. Miracles are the verses and proofs that Allah supported His prophets and messengers with to prove the truthfulness of their claim of prophecy. These versus are above normal human ability and beyond their limited physical knowledge. It is also extraordinary to what people usually see, know and familiar with.

I researcher first has explained the concept of a miracle and then explained the types of miracles. Then, he has presented some models of the most important sensory and moral miracles. He also has mentioned the difference between the miracle and the other paranormal. After that he has explained the miracle proof and its indicates of the sincerely of the prophet Mohammad – peace be upon him-. Then he has discussed the suspicions of miracles deniers. Followed by different sects and teams in miracle connotation with the most correct statement in this matter.

Key words: the miracle - the Ash'ari - the Mu'tazila - the evidence - the proof

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الثالث ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون. فبلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة. صلى الله – تعالى- وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن الله – ﷻ – منذ أن خلق البشر على وجه هذه البسيطة اقتضت حكمته إرسال الرسل إلى البشر، ليبينوا لهم سواء السبيل، وأيدهم بالآيات الباهرات والبراهين الواضحات، التي تدل دلالة واضحة على أنهم رسل من عنده – سبحانه وتعالى- وأنَّهم على اتصال دائم بالله – ﷻ- يتلقون منه الوحي، ويأخذون تعاليمه منه.

ومن ميزات هذه الآيات التي يؤيد الله بها رسله أن تكون فوق مقدور البشر وخارج علومهم ومعارفهم المادية المحدودة، وكذلك أن تكون خارقة للعادات المشاهدة المعروفة والقوانين المألوفة. وسميت هذه الآيات بالمعجزات لأن القدرة البشرية عاجزة عن معارضتها، والإتيان بمثلها. ومن جهة أخرى كانت معجزات الأنبياء ضرورية نظراً لاختلاف الناس في تقبل الحق الذي أتى به الأنبياء فمنهم من تكون فطرته سليمة فيتقبل الحق إذ ظهر نوره، ومنهم من فسدت فطرته، فيتعامى عن الحق، ولا يبصر نور الهداية عناداً واستكباراً، ولذلك اقتضت حكمة الله – ﷻ – أن يؤيد رسله بالبرهان، الذي يخرس به ألسنة المكابرين المعاندين، ويقطع أعذارهم ويقيم الحجة عليهم.

ومن هنا جاءت ضرورة المعجزة، وحاجة إظهارها، ليتم بها المقصود من تبليغ الرسالة وإقامة الحجة الإلهية على الناس، إذ إن المعجزة من أهم دلائل إثبات نبوة الأنبياء، وبها يتبين صدق الدعوى بالإضافة إلى أمور أخرى كثيرة منها: صدق النبي وبره، وقرائن حاله، والعلوم والأعمال التي يتصف بها، كل ذلك يبين صدقه، ويقتضي نبوته، وإن لم يكن ثَمَّ معجزة ولكن اقتضت حكمة الله – ﷻ – إظهار المعجزات الحسية على أيدي الأنبياء أمام إصرار المعاندين قطعاً لأعذارهم، وإقامةً للحجة عليهم. ومن هنا جاءت الحاجة إلى معرفة المعجزة، وما يتعلق بها من علومٍ ودلالات.

هذا، وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع الأسباب الآتية:

١. أهمية موضوع المعجزة، إذ إنها مرتبطة ارتباطاً مباشراً بدعوى النبوة.
٢. الاستدلال على أن دلائل النبوة ليست منحصرة في المعجزات فحسب، بل تشمل صدق النبي – ﷺ – وبره، وقرائن حاله، والعلوم والأعمال التي يتصف بها وهي المسلك الشخصي، كما تشمل أيضاً المسلك النوعي للنبي – ﷺ –.
٣. إيضاح الفروق بين معجزات الأنبياء وبين الخوارق الأخرى من كرامة واستدراج وسحر، وشعوذة وما إلى ذلك.
٤. إلقاء الضوء على أن مصطلح المعجزة لم يرد في الكتاب والسنة وإنما حدث متأخراً على أيدي أهل الكلام. وقد عبَّر القرآن الكريم عن المعجزة بالآية والبينة والبرهان.
٥. إبراز شبهات المنكرين في مسألة المعجزة ومناقشتها.

وقد تضمن البحث مقدمة، وفصلين، وخاتمة، وفهارس. أما المقدمة فقد تناولت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره. وأما الفصل الأول، فقد تضمن ثلاثة مباحث، أما المبحث الأول فقد احتوى على مفهوم المعجزة لغة واصطلاحاً واختلاف الناس فيه مع بيان الراجح. وأما المبحث الثاني فقد احتوى على أنواع المعجزة حسب اعتباراتها وبعض النماذج لأهم معجزات الأنبياء الحسية والمعنوية، وأما المبحث الثالث فقد اشتمل على الفروق بين المعجزة وبين الخوارق الأخرى.

وأما الفصل الثاني ففيه مبحثان، أما المبحث الأول فقد تضمن على إثبات المعجزة ومناقشة شبهات المنكرين، وأما المبحث الثاني فاشتمل على دلالة المعجزة واختلاف العلماء فيها مع بيان الراجح. وأما الخاتمة فقد دوَّنْتُ فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث. وفي نهاية البحث عملت فهرسين الأول لأهم المصادر والمراجع، والثاني عن محتويات البحث.

وأتضرع إلى الله العلي القدير أن يهدينا الصراط المستقيم، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يستعملنا فيما يرضاه من القول والعمل، إنه سميع قريب وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على النبي الكريم، وآله وصحبه أجمعين، تسليماً كثيراً كثيراً.

الفصل الأول: مفهوم المعجزة وأنواعها

المبحث الأول: مفهوم المعجزة:

المعجزة لغةً كما يقول صاحب معجم مقاييس اللغة: "عَجَزَ عن الشيء يَعْجَزُ عَجْزاً فهو عَاجِزٌ أي ضعيف وقولهم: إن الْعَجْزَ نقيض الحزم فمن هذا؛ لأنه يضعف رأيه. ويقال: أَعْجَزَنِيْ فلان إذا عَجَزْتَ عن طلبه وإدراكه. ولن يُعْجزَ اللهَ – ﷻ – شيء أي لا يعجز الله – ﷻ – عنه متى شاء. ومنه قوله – ﷻ – ﴿لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ [الجن: ١٢]. وقوله – ﷻ – ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [العنكبوت: ٢٢].

ويقولون: عَجَزَ بفتح الجيم، ولا يقال: عَجِزَ بكسر الجيم إلا إذا عظمت عجيزته" [(١)].

ويقول صاحب تاج العروس "والْعَجَزُ بالفتح نقيض الحزم والْعَجُوْز بالضم كقعود أي الضعف وعدم القدرة، وقال الراغب في المفردات: العجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره.

وصار في العرف اسماً للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة، وجاء في حديث عمر "لا تُلِثُّوا بدار معجزة" أي لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والتعيش" [(٢)].

ويقول ابن منظور في لسان العرب: "الْعَجْزُ: نقيض الحزم".

وعن ابن الأعرابي: وعجَّز فلان رأي فلان إذا نسبه إلى خلاف الحزم كأنه نسبه إلى العجز. ويقال: أعجزتُ فلاناً إذا ألفيتَه عاجزاً.

وقال سيبويه: "هو الْمُعْجِز والْمُعْجَز، الكسر على النادر، والفتح على القياس لأنه مصدر. والعجز: الضعف، مفعلة من العجز أي عدم القدرة والتعجيز التثبيط وكذلك إذا نسبته إلى العجز، وعجَّز الرجل وعَاجَزَ، ذهب فلم يوصل إليه. وقال الليث: أعجزني فلان: إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. وقال ابن عرفة: في قوله – ﷻ – "معاجزين" أي يعاجزون الأنبياء والأولياء يقاتلوهم ويخالفوهم، ليصيروهم إلى العجز عن أمر الله – ﷻ – وليس يعجز الله – ﷻ – خلق في السماء ولا في الأرض ولا ملجأ منه إلا إليه.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين ابن فارس (٢٣٢/٤) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية (١٣٩٠ هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر.

(٢) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (٤٩/٤) دار مكتبة الحياة، بيروت.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الثالث ٢٠١٩م

والمعجزة واحد معجزات الأنبياء – عليهم السلام – وأعجاز الأمور أواخرها وعجز الشيء آخره"[١].

ويقول صاحب القاموس المحيط: "العجُز مثلثة كندُس وكتف مؤخر الشيء ويجمع أعجاز. والعُجُوْزُ بالضم أي الضعف وعَجزت عجُوزاً بالضم أي صارت عجوزا وعجّزت تعجيزاً وعجِزت عجزاً وعجُزاً عظمت عجيزتها أي عجزها، أعجزه الشيء فاته وفلاناً وجده عاجزاً وصيَّره عاجزاً. ومعجزة النبي – صلى الله عليه وسلم – ما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة"[٢].

ونستخلص من هذا العرض أن المعجزة من حيث اللغة مشتقة من العجز الذي هو ضد القدرة والحزم، وسميت معجزات الأنبياء بهذا الاسم لأن الناس يعجزون عن معارضتها، وزيدت فيها الهاء للمبالغة [٣] في الخبر عند عجز المعارضين.

تعريف المعجزة اصطلاحاً

المعجزة عند الأشاعرة: يقول سيف الدين الآمدي: "المعجز في الوضع مأخوذ من العجز وهو في الحقيقة لا يطلق على غير الباري – سبحانه وتعالى – لكونه خالق العجز، وإن سمينا غيره معجزاً كما في فلق البحر، وإحياء الموتى، فذلك إنما بطريق التجوز والتوسع من كونه سبب ظهور الإعجاز وهو الإنباء عن امتناع المعارضة لا الإنباء عن العجز عن الإتيان بمثل تلك المعجزة كما يتوهمه بعض الناس، فإن ذلك مما لا يتصور العجز عنه حقيقةً، فإن دخلت تحت قدرته فلا عجز، وإن لم تدخل تحت قدرته فالعجز عما لا يدخل تحت القدرة أيضاً ممتنع".

"وأما حقيقة المعجز فهي كل ما قصد به إظهار المتحدي بالنبوة المدعي للرسالة فعلى هذا لا يجوز أن تُكذب الرسول، كما إذا قال أنا رسول، وآية صدقي أن يُنْطِقَ اللهُ يدي، فلو نطقت يده قائلةً إنه كاذب فيما يدعيه، لم يكن ذلك آيةً على صدقه لكن شرط

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٩٧/٦، ٩٨) راجعه: نخبة من الأساتذة المتخصصين، طبعة (١٤٢٣ هـ) دار الحديث القاهرة.

(٢) انظر: ترتيب القاموس المحيط للطاهر الزاوي (١٦٠/٣، ١٦٢) الطبعة الثانية عيسى البابي وشركاه.

(٣) من قواعد اللغة زيادة الهاء للمبالغة والتفخيم. يقول الخليل الفراهيدي: "هاء المبالغة والتفخيم، مثل قولهم: رجل علامة، ونسابة، ولحانة، إذا كان كثير اللحن، وزعموا أن قول الله عز وجل ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤]. على هذا المعنى...". انظر التفاصيل في: الجمل في النحو (٢٨٥/١،٢٨٦).

ذلك أن المكذب مما يقع في جنسه خرق العادة، وأما إن كان غير خارق للعادة فلا، وذلك كما إذا قال: آية صدقي إحياء هذا الميت، فأحياه الله وهو ينطق بتكذيبه، فإنه لا يكون ذلك تكذيباً، بل الواجب تصديقه من جهة أن الإحياء خارق، وكلام مثل ذلك غير خارق بخلاف اليد، وبه يتبين ضعف من لم يفرق بين الصورتين"[(١)].

يقول إمام الحرمين في تعريف المعجزة: "إن المعجزة مأخوذة لفظاً من العجز وهي عبارة شائعة على التوسع والاستعارة والتجوز، فإن المعجز على التحقيق خالق العجز والذين يتعلق التحدي بهم لا يعجزون عن معارضة النبي – ﷺ –.

فإن المعجزة إن كانت خارجة من قبيل مقدورات البشر، فلا يتصور أيضاً عجز المتحدين بالمعجزات، فإن العجز يقارن المعجوز عنه، فلو عجزوا عن معارضةٍ، لوجدت المعارضة ضرورةً، فالمعنى بالإعجاز الإنباء عن امتناع المعارضة من غير تعرض لوجود العجز الذي هو ضد القدرة [(٢)]".

يلاحظ أن إمام الحرمين يرى الإعجاز هو الإخبار عن امتناع المعارضة من قبل المخاطبين بدون تعرض عدم القدرة الموجودة فيهم لأن المعجزة إن كانت خارجة من قبيل مقدورات البشر فلا يتصور فيها عجز المتحدين.

كما يرى أن تسمية الآية بالمعجزة على سبيل المجاز لا على سبيل الحقيقة، وعلل ذلك بقوله: "ثم في تسمية الآية معجزةً تجوز آخر، وهو إسناد الإعجاز إليها، والرب – سبحانه وتعالى – هو معجز الخلائق بها، ولكنها سميت معجزة لكونها سبباً في امتناع ظهور المعارضة على الخلائق"[(٣)].

ويقول الإمام الماوردي في تعريف المعجزة: "وإذا كان حجج الأنبياء على أممهم هو المعجز الدال على صدقهم فالمعجز ما خرق عادة البشر من خصال لا تستطاع إلا بقدرة إلهيه تدل على أن الله – سبحانه وتعالى – خصه بها تصديقاً على اختصاصه برسالته، فيصير دليلاً على صدقه في ادعاء نبوته إذا وصل ذلك منه في زمان التكليف، وأما عند قيام الساعة إذا

---

(١) انظر: غاية المرام في علم الكلام لسيف الدين الآمدي (٣٣٣، ٣٣٤) تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، طبعة (١٣٩١ هـ) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، الجمهورية العربية المتحدة.
(٢) انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين (٣٠٧، ٣٠٨) تحقيق: الدكتور محمد يوسف موسى مكتبة الخانجي، مصر.
(٣) نفس المصدر (٣٠٨).

سقطت فيه أحوال التكليف، فقد يظهر فيه من أشراطها ما يخرق العادة، فلا يكون معجز المدعي نبوة، وإنما اعتبر في المعجز خرق العادة، لأن المعتاد يشمل الصادق والكاذب فاختص غير المعتاد بالصادق دون الكاذب"(١).

يلاحظ أن الإمام الماوردي يرى أن الإعجاز هو خرق عادة البشر بأمور لا يستطيع أن يفعلها أحد إلا بقدرة الله – ﷻ – وذلك تصديق منه وتأييد في دعوى نبوة الأنبياء – عليهم السلام– ثم يشترط أن هذه الأمور الخارقة لا بد وأن تحصل في زمن التكليف وذلك قبل قيام الساعة لأن عند قيام الساعة تظهر أشراطها ما يخرق العادة ولكنها لا تدل على صدق نبوة نبي. ثم إنه اشترط في المعجز "خرق العادة" للتمييز بين الصادق والكاذب، لأن الأمر المعتاد يستوي فيه الصادق والكاذب، فلا بد من أمر غير معتاد لتمييز الصادق عن الكاذب، وهو خرق العادة.

تعريف المعجزة عند المعتزلة: يقول شيخ المعتزلة في زمانه القاضي عبد الجبار عن المعجزة: "اعلم أن المعجز هو من يعجز الغير، كما أن المقدر هو من يقدر الغير، هذا في اللغة، وأما في المصطلح عليه، فهو الفعل الذي يدل على صدق المدعي للنبوة، وشبهه بأصل اللغة، هو أن البشر يعجزون عن الإتيان بما هذا سبيله، فصار كأنه أعجزهم" (٢).

ثم ذكر القاضي أن الفعل لا يدل على صدق المدعي للنبوة إلا إذا كان على أوصاف وشروط وذكر للمعجزة أربعة شروط وهي كالآتي:

الأول: أن يكون من جهة الله – ﷻ – أو في الحكم كأنه من جهته – ﷻ – لأن المعجز ينقسم إلى ما لا يدخل جنسه تحت مقدور القدر، كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وقلب العصا حية وما إلى ذلك. وإلى مالا يدخل جنسه تحت مقدور القدر وذلك نحو قلب المدن ونقل الجبال وأمثاله وحنين الجذع، وما جرى مجراه.

الثاني: أن يكون واقعاً عقيب دعوى المدعي للنبوة، لأنه لو تقدم الدعوى، لم تتعلق به فلا يكون بالدلالة على صدقه أحق منه بالدلالة على صدق غيره. وكذلك لو تراخى عنه

---

(١) انظر: أعلام النبوة للماوردي (٤٢، ٤٣) تحقيق: سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى دار مكتبة الهلال، بيروت.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٥٦٨) تعليق: الإمام أحمد بن الحسين، تحقيق: الدكتور عبد الكريم عثمان، الطبعة الأولى (١٣٨٤هـ) مكتبة وهبة، شارع الجمهورية بعابدين.

لم يتعلق به، فلا يكون بالدلالة على صدقه أحق منه بالدلالة على صدق غيره، إلا أنه إذا ثبت صدق المدعي للنبوة بمعجز وتراخى من دعواه معجز آخر جاز.

وعلى هذا فإن إخبار النبي – ﷺ – عن الغيوب، نحو إخباره علياً – ﷺ– "إنك تقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين"(١) وقوله لعمار: "ستقتلك الفئة الباغية"(٢) كلها أعلام معجزة دالة على صدقه مع تأخرها عن دعواه جاز ذلك لثبوت صدقه بدلالة أخرى غير هذه الدلالة.

الثالث: أن يكون مطابقاً لدعواه، فإنه إذا لم يكن كذلك وكان بالعكس، لم يكن يتعلق بدعواه فلا يدل على صدقه. ويبين ذلك، أن قائلاً لو قال بحضرة جماعة: إني رسول فلان إليكم وعلامته أن يحرك رأسه، إذا بلغه كلامي هذا فإنه إذا بلغه ولم يحرك، وسكَّن رأسه، لم يدل على صدقه إن لم يدل على كذبه.

الرابع: أن يكون ناقضاً لعادة من بين ظهرانيه لأنه لو لم يكن كذلك، لم يكن ليدل على صدق من ظهر عليه أصلاً، والمثال على ذلك أن أحداً إذا ادعى النبوة، وجعل معجزته طلوع الشمس من مشرقها وغروبها في مغربها لم تصح له دعواه، ولم يدل ذلك على صدقه، وبالعكس من ذلك لو ادعى النبوة، وجعل معجزته طلوع الشمس من المغرب وغروبها في المشرق، فإنه يدل على صدقه لما انتقض في أحدهما، ولم ينتقض في الآخر (٣) .

يُلاحظ أن "القاضي عبد الجبار" أوجز في ألفاظ التعريف، ثم شرحه، وبين فوائد قيوده في ضمن الشروط، كما يلاحظ أن هذا التعريف لا يختلف كثيراً عن تعريف المعجزة عند الأشاعرة.

من خلال هذه التعريفات يتبين "أن أمراً خارقاً للعادة" جنس في التعريف، يدخل تحته المعجزة والكرامة والإرهاص والمعونة والإهانة، وسائر الخوارق الأخرى.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن عبد الله بن مسعود - ﷺ - بلفظ: "أمر بعلي بقتال..." (٩١/١٠ برقم ١٠٠٥٤). وأورد الحافظ ابن كثير عن الحاكم قول أبي أيوب: "أمرني رسول الله - ﷺ - بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي بن أبي طالب". انظر: البداية والنهاية (٣٠٧/٧).
وقال الشوكاني: "في إسناده متروكان، وهو من قول أبي أيوب، وروي عن ابن مسعود وأبي سعيد - ﷺ - ". انظر: الفوائد المجموعة (٣٨٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري - ﷺ - في كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد بلفظ "ويح عمار تقتله الفئة الباغية..." (٥٤١/١ برقم ٤٤٧).

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة (٥٦٩-٥٧١).

ثم جعل قيد "الاقتران بالتحدي" في التعريف لإخراج الكرامة وغيرها من الخوارق الأخرى. ثم وضع قيد "عدم المعارضة" ليخرج به السحر، والشعوذة، وغرائب المخترعات لأن هذه الأشياء يمكن معارضتها عند تعاطي أسبابها وتعلم أصولها. كما يبدو أن هناك شرطين أساسيين في تعريف المعجزة وهما:

أولاً: ذكر قيد ظهور المعجزة على يد مدعي النبوة، وهذا القيد لا بد منه للاحتراز من أن يتخذ الكاذب معجزة من يعاصره من الأنبياء حجةً لنفسه، أو أن يدعي بأن معجزته ما ظهر منه في السنين الماضية.

ثانياً: ذكر قيد موافقة الدعوى، وهذا القيد أيضاً لا بد من ذكره احترازاً من أن يدعي المدعي بأن معجزته نطق الجماد، فنطق بأنه مفتر كذاب، فذلك لا يقدح في ادعائه النبوة.

ويرى عضد الدين الإيجي أن ما تقدم على دعوى النبوة من خوارق وهي ما تسمى بالإرهاصات أو الأعلام تعتبر كرامات، كإظلال الغمام للرسول - ﷺ - وتسليم الحجر والمدر عليه، وشق صدره، وظهور النور على جبين والده عبد الله وكذلك كلام عيسى في المهد. ويقول: "إنما هي كرامات وظهورها على الأولياء جائز، والأنبياء قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الأولياء"[(١)].

مناقشة تعريفات المتكلمين للمعجزة

إذا نظر الباحث إلى تعريفات المتكلمين للمعجزة نظرة فحصٍ وتأمل يجد أن هناك أموراً كثيرةً تخالف مذهب السلف أجملها فيما يأتي:

أولاً: قول الآمدي: "...سبب ظهور الإعجاز وهو الإنباء عن امتناع المعارضة لا الإنباء عن العجز عن الإتيان بمثل تلك المعجزة كما يتوهمه بعض الناس".

وهذا رأي جمهور الأشاعرة. وهو أيضاً مذهب المعتزلة، وقد أشار القاضي عبد الجبار في تعريفه الاصطلاحي للمعجزة إلى ذلك حيث قال: "فصار كأنه أعجزهم".

وهذا يتوافق مع مذهبهم في إنكار القدر، ومن ثَمَّ ذهبوا إلى أن المعجزة لا تكون إلا مقدورة للرب لا للعباد، ومقتضى ذلك أن الله أعجز العباد عنها. والصحيح إنما يعجز العباد

---

(١) انظر: المواقف في علم الكلام للإيجي (٣٤٠) عالم الكتب، بيروت.

عما يصح قدرتهم عليه، فيرى السلف أن سبب الإعجاز هو عدم قدرة البشر وعجزهم عن الإتيان بمثل تلك المعجزة، وليس لأن الله – ﷻ – منع أعداء الرسل عن الإتيان بمثلها [١].

ثانياً: قول الآمدي أيضاً: "...كما إذا قال: آية صدقي إحياء هذا الميت، فأحياه الله وهو ينطق بتكذيبه...".

يفيد هذا النص بوضوح أن الله – ﷻ – يفعل كلّ قبيح، وأنه – ﷻ – يفعل الأشياء لا لحكمةٍ. وهذا مبني على أصول الأشاعرة بان الله – ﷻ – لا يفعل شيئاً لشيء، ويجوز عليه فعل كل شيء.

وقد ناقشهم شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في نفي الحكمة والتعليل في أفعال الله – ﷻ – وأبطل مذهبهم، لأنه يقدح في العلوم الضرورية، ويَسُدُّ باب العلم بصدق الرسل – ﷺ– وأفعال الله – ﷻ – مبنية على الحكم الباهرة. وقد عُلِمَ بالاضطرار أن الله – ﷻ – ينزل المطر لسقي المزارع، وانه جعل أعضاء الإنسان لما فيها من المنافع، كالبطش باليدين، والمشي بالرجلين، والنظر بالعينين والسمع بالأذنين، والنطق باللسان، وجعل ماء العينين ملحاً لكونها شحمةً والملوحة تمنعها أن تذوب، وماء الأذن مراً ليمنع الذباب من الولوج في الدماغ وماء الفم عذباً ليطيب الطعام والشراب... إلى ما لا يحصى من حكمة الله المشهودة في خلقه[٢].

ثالثاً: ما ذهب إليه الإيجي أن الخوارق المتقدمة على دعوى النبوة كرامات مبني على مذهب المتكلمين الذين يخصون المعجزات بحياة النبي – ﷺ –.

والصحيح أن آيات الأنبياء ودلائل صدقهم متنوعة تكون قبل المبعث، وحين المبعث وفي حياتهم وبعد مماتهم، فقبل المبعث مثل إخبار من تقدم من الأنبياء به، ومثل الإرهاصات الدالة عليه، وهكذا حين المبعث وأما في حياته فمثل نصره، وإنجائه وإهلاك أعدائه. وأما بعد موته فمثل نصر أتباعه، وإهلاك أعدائه [٣].

رابعاً: قولهم في المعجزة بأنه "خارق للعادة".

---

(١) انظر: النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٩) تصحيح: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.
(٢) انظر: دلائل النبوة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨٠-٢٨٣) تحقيق: الدكتور حمدان محمد الحمدان، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ) مكتبة العبيكان، الرياض.
(٣) نفس المصدر (٢٩٢، ٢٩٣).

وقد نقض شيخ الإسلام ابن تيمية تعريف المتكلمين للمعجزة بأنه أمر خارق للعادة وبين أن الشيء الذي يدل على النبوة هو آية على النبوة وبرهان عليها، فهو مختص بالأنبياء ولا يكون مشتركاً بين الأنبياء وغيرهم، لأن الدليل وهو الآية والبرهان مستلزم لمدلوله وهو النبوة وحينئذ لا تكون آية النبي لغير الأنبياء، ولا مانع أن تكون هذه معتادة لكل نبي أو لكثير من الأنبياء، لأنه لا يقدح هذا الاشتراك في النبوة.

وأما كون الآية خارقة للعادة أو غير خارقة هو وصف لم يصفه القرآن والحديث ولا السلف، وهذا الوصف غير منضبط لأن نفس النبوة معتادة للأنبياء خارقة للعادة بالنسبة لغيرهم.

فإذا كانت الآية خارقة للعادة أي أنها ليست معتادة للآدميين فليس هناك ما يدل على أن هذه الآية مختصة بالنبي، بل تصير الآية مشتركة بين الأنبياء وغيرهم، لأن كل خارقة للعادة لا تكون آية، فالكهانة والسحر مثلاً معتاد للسحرة والكهان، وهو خارق بالنسبة إلى غيرهم وهكذا ما يعرفه أهل الطب والنجوم هو معتاد لأمثالهم، وخارق بالنسبة إلى غيرهم.

وخلاصة الكلام أن مجرد كون المعجزة فعلاً خارقاً للعادة وسليماً عن المعارضة لا يكفي أن تكون آية للنبوة وذلك لوجهين:

الوجه الأول: أن كون الشيء معتاداً، وغير معتاد، أمر نسبي وإضافي ليس بوصف مضبوط تتميز به الآية، بل يعتاد قوم ما لا يعتاد آخرون.

الوجه الثاني: أن الفعل الخارق للعادة مشترك بين الأنبياء وغيرهم، فإذا خص ذلك بعدم المعارضة، لا يكون مختصاً بالأنبياء لأنه قد يأتي الرجل بما لا يقدر الحاضرون على معارضته وليس فيه آية النبوة، لكونه لم يختص بالأنبياء أمثال طب أبقراط ونحو سيبويه، فإنه لا نظير لهما، مع ذلك ليس فيه آية النبوة [(١)].

ثم إذا سلمنا أن المعجزة أمر خارق للعادة، فالمراد بالعادة، عادة جميع الناس أم عادة المخاطبين فقط، يرى المتكلمون من الأشاعرة والمعتزلة أن المراد بالعادة هي عادة المخاطبين بالنبوة ممن أرسل النبي إليهم، ولا عبرة بعادة غيرهم.

---

(١) انظر: النبوات (١١ - ١٤).

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن معجزة الأنبياء لابد أن تكون خارقة لجميع العادات ماعدا عادة الأنبياء حيث قال: "النبوة لها خواص مستلزمه لها، تعرف بها، وتلك الخواص خارقة لعادة غير الأنبياء، وإن كانت معتادة للأنبياء فهي لا توجد لغيرهم". ثم قال: "فإذا أتى مدعي النبوة بالأمر الخارق للعادة الذي لا يكون إلا لنبي لا يحصل مثله لساحر، ولا كاهن ولا غيرهما كان دليلاً على نبوته"[١].

بَيَّنَ شيخ الإسلام ابن تيمية هنا أن الخارق الذي يخرق عادة غير الأنبياء هو الذي جنسه خارج عن مقدور البشر، وجنس الحيوان، وأما الخوارق التي لا يخرج جنسها عن مقدورها فليست بآية الأنبياء بل خوارق مخالفين من السحرة وغيرهم كما قال في موضع آخر: "جنس آيات الأنبياء خارجة عن مقدور البشر، بل وعن مقدور جنس الحيوان. وأما خوارق مخالفيهم كالسحرة والكهان فإنها من جنس أفعال الحيوان من الإنس وغيره من الحيوان والجن، مثل قتل الساحر وتمريضه لغيره، فهذا أمر مقدور معروف للناس بالسحر وغير السحر، وكذلك ركوب المكنسة أو الخابية أو غير ذلك حتى يطير به، وطيرانه في الهواء من بلد إلى بلد هذا فعل مقدور للحيوان، فإن الطير تفعل ذلك، والجن تفعل ذلك" [٢].

فهذا رأي شيخ الإسلام في خرق العادة، وحاصله: أن الخارق لابد أن يكون خارقاً لعادة البشر، وعادة غير البشر من الجن والحيوان. فلو طار إنسان مثلاً فلا يعتبر ذلك خارقاً معجزاً لأن الطير تطير، ولو أتى بعرش ملك من بلد إلى بلد في لحظة قليلة، فلا يعتبر خارقاً معجزاً لأن الجن يفعل ذلك كما حدث بعرش بلقيس.

(١) نفس المصدر (٢٠).
(٢) نفس المصدر (٥).

تعبير القرآن الكريم عن المعجزة بالآية والبينة والبرهان

ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم أطلق على المعجزات اسم الآيات، والبينات، والبراهين ذلك لأنها علم الصدق والدليل الدال على صدق الرسول – ﷺ – فإنها تمنح كل ذي عقل العلم الجازم والصادق بصدق الرسل – ﷺ –.

الآية بمعنى المعجزة:

وأما التعبير عن المعجزة بالآية في القرآن الكريم فكثير، ولفظ الآية في اللغة بمعنى العلامة والعبرة، وعند إطلاقه على المعجزة يكون بمعنى العلامة الدالة على صدق الرسول – ﷺ– قال الراغب الإصفهاني: "والآية هي العلامة الظاهرة وحقيقته لكل شيء ظاهر، هو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره، فمتى أدرك مدرك الظاهر منهما عُلِمَ أنه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته إذ كان حكمهما سواء، وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات"(١). قال – سبحانه وتعالى – ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٣، ١٢٤]. وقال – سبحانه وتعالى – على لسان سيدنا عيسى – عليه السلام – عندما عدَّد المعجزات التي أجرى الله – عز وجل – على يده حيث قال ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال – سبحانه وتعالى – ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۞ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١، ٢]. وقال – سبحانه وتعالى – في حق سيدنا محمد –ﷺ– ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۞ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ٤، ٥].

(١) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الإصفهاني (٢٨) تحقيق: نديم مرعشلي، طبعة (١٣٩٢ هـ) دار الفكر بيروت، لبنان.

البينة بمعنى المعجزة:

وهكذا عبَّر الله – ﷻ – عن المعجزة بالبينة أيضاً حيث قال ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

وقال – ﷻ – حكاية عن صالح – عليه السلام – ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقد أكد الله – ﷻ – أنه أيّد رسله بالبينات أي المعجزات الظاهرة التي تبين لهم طريق الرشاد، قال – ﷻ – ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥].

وأصل البينة في اللغة: بان الشيء بياناً أي اتضح فهو بين أي واضح. وكذا أبان الشيء فهو مبين أي الموضح، واستبان وتبين بمعنى ظهر ووضح [١]. فالبين والمبين اسم لما ظهر في نفسه وأظهر غيره. والبينات جمع بينة وهي الأدلة والبراهين التي هي بينة في نفسها ويتبين بها غيرها.

وقال الراغب الإصفهاني: "والبينة: الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة وسمي الشاهدان بينة لقوله – عليه السلام – "البينة على المدعي واليمين على من أنكر"[٢][٣].

البرهان بمعنى المعجزة:

وهكذا عبَّر القرآن الكريم عن المعجزة بأنها "برهان" فقال – ﷻ – في معجزتي اليد والعصا لسيدنا موسى – عليه السلام – ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا

(١) انظر: مختار الصحاح للرازي (٧٢) ترتيب: محمود خاطر بك، دار الفكر للطباعة، بيروت لبنان.
(٢) رواه الترمذي في الجامع عن عمرو بين شعيب عن أبيه عن جده وقال: هذا حديث في إسناده مقال (٥٧١/٤ برقم ١٣٥٧) المطبوع مع تحفة الأحوذي. وأورده النووي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في الأربعين وقال: "حديث حسن رواه البيهقي وغيره هكذا، وبعضه في الصحيحين". وقال ابن رجب: "وقد استدل الإمام أحمد وأبو عبيد بأن النبي - ﷺ - قال: "البينة على المدعي واليمين على من أنكر". وهذا يدل على أن اللفظ عندهما صحيح ومحتج به". انظر التفاصيل في: جامع العلوم والحكم (٢٢٦/٢، ٢٢٧).
(٣) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن (٦٧).

فَاسِقِينَ﴾ [القصص: ٣٢]. وقال – ﷻ – ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

قال الراغب الإصفهاني: "البرهان بيان للحجة... فالبرهان أوكد الأدلة، وهو الذي يقتضي الصدق أبداً، لا محالة"(١). والمعجزة دليل وحجة على صدق الأنبياء، فلهذا عُبِّر عنه بالبرهان.

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية تسمية الآيات والبراهين التي تدل على صدق الأنبياء في دعواهم للنبوة بالمعجزات وبدلائل النبوة، وبأعلام النبوة ونحو ذلك من وضع النظار والمتكلمين، وهي لا تؤدي المعنى المقصود على وجه الكمال، ولهذا لم ترد هذه التسميات في الكتاب والسنة، يقول شيخ الإسلام: "والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد – ﷺ – كثيرة متنوعة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسميها من يسميها من النظار معجزات، وتسمى دلائل النبوة، وأعلام النبوة ونحو ذلك. وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ الآية، والبينة والبرهان"(٢).

وهذا أيضاً رأي غيره من علماء السلف كما روي عن الإمام أبي حنيفة – رحمه الله – أنه سمى المعجزات بآيات الأنبياء حيث قال في الفقه الأكبر: "والآيات ثابتة للأنبياء والكرامات للأولياء حق، وأما التي تكون لأعدائه مثل إبليس وفرعون والدجال مما روي في الأخبار أنه كان ويكون لهم، لا نسميها آيات ولا كرامات ولكن نسميها قضاء حاجاتهم"(٣).

كما يرى شيخ الإسلام أن لفظ "المعجز" يدل على أنه أعجز غيره، ولا يدل على كون ذلك آية ودليلاً، ولهذا يفرق المتكلمون بين المعجزة والكرامة، حيث يطلقون الأولى على خوارق الأنبياء والثانية على خوارق الأولياء، بينما السلف يسمون كلاً منهما معجزاً بخلاف الآية والبرهان، فإنه خاص بالنبي دون الأولياء.

---

(١) نفس المصدر (٤٢، ٤٣).
(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٧/٤) مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر القاهرة.
(٣) انظر: الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة (٥) الطبعة الثانية (١٣١٣ هـ) مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن الهند.

ورد شيخ الإسلام أيضاً على من قال من المتكلمين أن طريق إثبات نبوة الأنبياء هو طريق المعجزة فقط. وقال: "إنه لا شك أن المعجزة دليل صحيح لتقرير نبوة الأنبياء ولكن القول إن النبوة لا تعرف إلا بالمعجزات ليس بصحيح" [١].

وأيد من يجعل المعجزة دليلاً، ويجعل أدلة أخرى غير المعجزة وذكر أن هذا أصح الطرق لأن الذين جعلوا النبوة طريقها المعجزة فقط تعرضوا لتكذيب الحق، أو تصديق الباطل، وليس الأمر كذلك بل معرفتها بغير المعجزات ممكنة، فإن المقصود هو معرفة صدق مدعي النبوة، أو كذبه، فإنه إذا قال إني رسول الله، فهذا الكلام إما أن يكون صدقاً وإما أن يكون كذباً، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما هو دون دعوى النبوة فكيف بدعوى النبوة.

ومدعي النبوة إما أن يكون أفضل الخلق وأصدق الصادقين، وإما أن يكون أرذل الخلق، وأكذب الكاذبين، فمن ادعى النبوة من الكاذبين ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور ما يكشف كذبه ودجله. ومن ادَّعاها من الصادقين، ظهر عليه العلم والبر وأنواع الخيرات ما يبين صدقه. "والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها، وهي أشرف العلوم وأشرف الأعمال، فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب، ولا يتبين صدق الصادق، وكذب الكاذب من وجوه كثيرة لاسيما والعالم لا يخلو من آثار نبي من لدن آدم إلى زماننا، وقد علم جنس ما جاءت به الأنبياء والمرسلون، وما كانوا يدعون إليه ويأمرون به ولم تزل آثار المرسلين في الأرض، ولم يزل عند الناس من آثار الرسل ما يعرفون به جنس ما جاءت به الرسل ويفرقون به بين الرسل وغير الرسل"[٢].

القول المختار الراجح في المعجزة:

تقدم في نقد تعريفات المتكلمين للمعجزة أن هذا المصطلح من استحداث المتكلمين في زمن متأخر، وقد جاء التعبير القرآني عن دلائل النبوة بالآيات، والبينات والبراهين، إذاً معجزات الأنبياء هي آيات نبوتهم، وبراهين صدقهم، وبينات على برّهم وعلمهم. وهي مختصة للأنبياء وملازمة لهم غير مشتركة بين الأنبياء وغيرهم، لأن الدليل لا

(١) المصدر السابق (٧٠/٤).
(٢) انظر التفاصيل في: شرح العقيدة الإصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٥٥ – ١٥٩) تحقيق: سعيد نصر محمد، الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ) مكتبة الرشد، الرياض.

يكون إلا مستلزماً للمدلول عليه مختصًّا به، ولا يكون مشتركاً بينه وبين غيره، فإنه يلزم من تحققه تحقق المدلول، فما يوجد مع وجود الشيء ومع عدمه لا يكون دليلاً عليه [(١)].

وآيات النبوة وبراهينها تكون في حياة الرسول، وقبل مولده، وبعد مماته، ولا تختص بحياته، فضلاً عن أن تختص بحال دعوى النبوة، أو حال التحدي –كما ظنه بعض أهل الكلام– [(٢)]. كما أن هذه الآيات خارجة عن مقدور الإنس والجن، تابع للإنس في هذا الباب[(٣)].

وتتضمن آيات الأنبياء المسلك النوعي للنبي، وهو الذي استدلَّ به النجاشي – ملك الحبشة – وقبله ورقة بن نوفل على نبوة نبينا محمد – ﷺ – كما تتضمن المسلك الشخصي الذي استدل به هرقل – ملك الروم – وقبله خديجة أم المؤمنين – رضي الله عنها – [(٤)]. ولا تنحصر دلائل النبوة في المعجزات فقط – كما ذهب إليه المتكلمون – بل دلائل النبوة كثيرة منها المعجزات [(٥)].

وهذا القول هو المختار والراجح في تعريف المعجزة، وهو الذي تدعمه الأدلة من الكتاب والسنة، وهو مذهب سلف الأمة.

المبحث الثاني: أنواع المعجزة ونماذج من المعجزات الحسية والمعنوية:

ولما فرغت من بيان مفهوم المعجزة، أريد أن أبين في هذا المبحث أنواع المعجزة، وبعضاً من النماذج للمعجزة الحسية والمعنوية. تنقسم المعجزة إلى أقسام عديدة بحسب الاعتبارات.

تقسيم المعجزة باعتبار صاحبها:

فباعتبار صاحب المعجزة تنقسم إلى نوعين:

أحدهما: وجود فعل غير معتاد مثله.

الثاني: تعجيز الفاعل بشيء معتاد عن فعل مثله، كمنع زكريا عن الكلام، ثلاث ليال بعد أن كان معتاداً له، وذلك للدلالة على صحة ما بُشِّرَ به من الولد.

---

(١) انظر، النبوات (٢، ٢٨، ١٠٤، ١٩٢، ٢٥٥).
(٢) انظر: دلائل النبوة (٢٧١).
(٣) المصدر السابق (٧٠، ١٩٦).
(٤) انظر: شرح العقيدة الإصفهانية (١٦٢، ٢٤٥، ٢٧٠).
(٥) انظر: الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (٦٧/٤).
أيضاً: درأ تعارض العقل والنقل لشيخ الإلام ابن تيمية (٤٠/٩) تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم الطبعة الثانية (١٤١١ هـ) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وما كان على الوجه الأول فنوعان:

النوع الأول: لا يدخل تحت قدرة من هو معجزة له وفيه، ولا تحت قدرة من الخلق، ولا يقدر عليه غير الله – ﷻ – وذلك مثل اختراع الأجسام والألوان والحواس، وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، ونحو ذلك.

النوع الثاني: لا يدخل تحت قدرة من هو معجزة فيه وله، على الوجه الذي أظهره الله عليه وإن دخل مثل أبعاضه وجنسه تحت قدرة العباد بأن يكتسبوه في أنفسهم ويستحيل منه فعله في غيرهم لقيام الدلالة على إبطال التولد.

وهذا مثل الكلام المنظوم نظم القرآن في فصاحته وبلاغته المفارقة لبلاغات البلغاء، وإن كان جنس العبارات ومفردات الألفاظ وبعض أنواع التركيب منها مقدوراً للعباد [1].

تقسيم المعجزة باعتبار تعلقها بالمحل:

وباعتبار تعلق المعجزة بالمحل تنقسم إلى ثلاثة أقسام: ترك، وقول وفعل. أما الترك فمثل أن يمسك عن القوت المعتاد برهةً من الزمن بخلاف العادة، وسببه انجذاب النفس إلى عالم القدس، واشتغالها عن تحليل مادة البدن فلا تحتاج إلى القوت، كما نشاهده في المرضى، أن النفس لاشتغالها بمقاومتها لمرض تنكف عن التحليل، فتمسك عن القوت ما لو أمسك في صحته هلك.

أما القول فكالإخبار بالغيب. وأما الفعل، فبأن يفعل فعلاً لا يفعل غيره، مثل نتق جبل
أو شق بحر وغيرهما [2].

تقسيم المعجزة باعتبار مادتها:

وباعتبار مادة المعجزة تنقسم إلى قسمين: الحسية والمعنوية، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والآيات الخارقة جنسان: جنس في نوع العلم، وجنس في نوع القدرة، فما اختص به النبي من العلم خارج عن قدرة الإنس والجن، وما اختص به من المقدورات خارج عن قدرة

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي (١٧١ – ١٧٢). الطبعة الأولى (١٣٤٦ هـ) مطبعة الدولة، استانبول.
(٢) انظر: المواقف في علم الكلام (٣٤١).

الإنس والجن، وقدرة الجن في هذا الباب كقدرة الإنس، لأن الجن هم من جملة من دعاه الأنبياء إلى الإيمان، وأرسلت الرسل إليهم" (١).

فهذه أنواع المعجزة المشهورة، واختلافها باختلاف اعتباراتها وتعلقها بالمحل. وبعد هذا العرض الموجز لأنواع المعجزة أريد أن أسرد بعضاً لمعجزات الأنبياء وأكتفي بذكر بعض النماذج لمعجزات الأنبياء السابقين المشهورة التي ثبتت بالقرآن الكريم، أمثال معجزة الناقة لصالح – عليه السلام – ومعجزة العصا لموسى – عليه السلام – ومعجزة خلق الطير لعيسى – عليه السلام – وكل ذلك بشكل موجز، ثم أبين بعض معجزات سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – الحسية والمعنوية بشيء من التفصيل. والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

معجزة صالح –عليه السلام– "الناقة"

بعث الله – سبحانه وتعالى – نبيه صالحاً – عليه السلام – رسولاً إلى قوم ثمود، يدعوهم إلى عبادة الله وحده ويذكرهم بأنعم الله عليهم فما كان منهم إلا العتو والإنكار، والشك والارتياب، ثم طلبوا منه أن يأتيهم بآية تدل على صدقه، وتشهد برسالته فكانت الناقة معجزة عظيمة، وحجة بليغة.

ولقد ورد ذكر هذه المعجزة في عدد من الآيات القرآنية منها قوله – سبحانه وتعالى –﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقال – سبحانه وتعالى – ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۞ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۞ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣ – ١٥٧] وقال – سبحانه وتعالى – ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۞ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٤، ٦٥].

(١) انظر: كتاب النبوات (٧).

وتقدم أن الله – سبحانه وتعالى – أرسل نبيه صالحاً – عليه السلام – رسولاً إلى ثمود وكانت أمة من الأمم السابقة، وكانوا في سعة من معايشهم، فخالفوا أمر الله وعبدوا غيره فلما جاءهم صالح – عليه السلام – دعاهم إلى عبادة الله وحده، وذكَّرهم بنعم الله عليهم.

والقوم بدل أن يستجيبوا الدعوة قابلوها بتهمة السحر، بأنه من المسحرين في عقله ومغلوب على أمره، وبعد الجدل العنيف، والنقاش الحاد، طلبوا البينة على الدعوى واقترحوا الاتيان بالمعجزة.

وقد ذكر المفسرون بعض الأقوال في صفة طلبهم، واقتراحهم للآية كما ذكروا العديد من الخصائص والصفات التي تتميز بها هذه الآية. يقول الإمام ابن كثير في صفة اقتراحهم: "ثم أنهم اقترحوا عليه – أي على نبي الله صالح – آية يأتيهم بها ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم، وقد اجتمع ملأهم وطلبوا منه أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة ناقة عشراء – وأشاروا إلى صخرة عندهم – من صفتها كذا وكذا فعند ذلك أخذ عليهم نبي الله صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم إلى ما سألوا ليؤمنن به، وليتبعنه فأعطوا ذلك. فقام نبي الله صالح – عليه السلام– فصلى ثم دعا الله – سبحانه وتعالى – أن يجيبهم إلى سؤالهم فانفطرت تلك الصخرة التي أشاروا إليها عن ناقة عشراء على الصفة التي وصفوها"[1].

عرض المعجزة: بعد أن تمثلت الناقة بين أيدي القوم جاء نبي الله صالح – عليه السلام – وعرضها عليهم، وبين اختصاصهم بها وقال ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ[2] لَكُمْ﴾ [هود: ٦٤].

وقد أمر الله – سبحانه وتعالى – نبيه صالحاً – عليه السلام – أن يخبر القوم بنصيب الناقة من الماء، وأن يقرر ذلك فيما بينهم حتى تستوفيه في يسر وسهولة، وحتى لا يكون عليها حيف من القوم فقال – سبحانه وتعالى – ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ [القمر: ٢٨].

وقد جاء بيان وتفسير هذه القسمة بقوله – سبحانه وتعالى – ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]. والمعنى أن ماء البئر التي لهم مقسوم، لها يوم، ولهم يوم، وليس

---

(١) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (١١٩/٥، ١٢٠) الطبعة الأولى (١٣٨٥ هـ) دار الفكر للطباعة والنشر.

(٢) إضافة الناقة هنا إلى الله - سبحانه وتعالى - إضافة تشريف وتكريم، فإن المضاف إلى الله - سبحانه وتعالى - إما معان أو ذوات فإضافة الذوات إلى الله - سبحانه وتعالى - للتشريف، وهي مخلوقة له كبيت الله، وناقة الله بخلاف إضافة المعاني كعلم الله وسمعه، وبصره، وكلامه، فإن هذا كله من صفاته، لا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقاً. انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١٧٤/١، ١٧٥).

معنى كون الماء مقسوماً بين القوم والناقة أنه جعل قسمين قسم لها وقسم لهم، بل معناه جعل الشرب بينهم على طريق المناوبة يحضره القوم يوماً، وتحضره الناقة يوماً، وقسمة الماء إما لأن الناقة عظيمة الخلق ينفر منها حيواناتهم أو لقلة الماء [(١)].

وقد أمر الله – ﷻ – بترك الناقة تأكل في أرضه، وعدم التعرض لها بالأذى وتوعدهم فيما لو أقدموا على ذلك بالعذاب الأليم والوعيد الشديد، إشعاراً بعظمة هذه الناقة، وأنها ليست ناقة عادية، إنما هي ناقة عظيمة وحجة وبينة، ومع التحذير والوعيد الشديد لمن يقدم بمسها بالأذى لكونها آية الله الدالة على وحدانيته، وعلى صدق نبيه مع ذلك كله فقد عقروها بعد تكذيبهم لنبيهم.

وقد جرت سنة الله أن ينزل العذاب على كل ما يعلقون إيمانهم بالآية الحسية فيستجيب الله لهم ثم هم لا يؤمنون وكذلك فعلت ثمود، فنزل عليهم عذاب الله.

وجه خرق العادة فيها

اختلف العلماء في وجه كون الناقة آية على عدة أقوال:

القول الأول: ذهب بعضهم إلى أنها كانت آية لسبب خروجها بكمالها من الصخرة فهذا معجز من عدة جهات:

أحدها: خروجها من الجبل.

الثانية: كونها لا من ذكر ولا من أنثى.

الثالثة: كمال خلقها من غير تدرج.

القول الثاني: أنها إنما كانت آية لأجل أن لها شرب يوم، ولجميع ثمود شرب يوم واستيفاء ناقة شرب أمة من الأمم عجيب. وكانت مع ذلك تأتي بما يليق بذلك الماء من الكلأ والحشيش.

القول الثالث: أن وجه الإعجاز فيها أنهم كانوا في يوم شربها يحلبون منها القدر الذي يقوم لهم مقام الماء في يوم شربهم. وقال الحسن بالعكس من ذلك، فقال: إنها لم تحلب منها قطرة لبن قط.

(١) انظر: تفسير روح البيان لإسماعيل حقي البرسوي (٢٧٧/٩) طبعة (١٣٣٠ هـ) المطبعة العثمانية.

القول الرابع: وجه الإعجاز فيها أن يوم مجيئها إلى الماء كان جميع الحيوانات تمتنع الورود على الماء، وفي يوم امتناعها كانت الحيوانات تأتي. وقد دل القرآن أن فيها آية وهذه الآية من أي الوجوه فهو غير مذكور، والعلم حاصل بأنها كانت معجزة من وجه ما، لا محالة [١].

وهذا هو الصواب فإننا لا نستطيع الإثبات أو النفي لهذه الوجوه على طريق الجزم وإنما الثابت هو أنها آية معجزة بالنص القرآني، ومن هنا يلزم حتماً وجود وجه أو أوجه خارقة للعادة. والله أعلم.

معجزات موسى – عليه السلام –

وقد أجرى الله – سبحانه وتعالى – الكثير من المعجزات على يد رسوله موسى – عليه السلام – وكان عددها تسع [٢] معجزات كما قال – سبحانه وتعالى – ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١].

وهنا أتعرض لمعجزة واحدة من تلك المعجزات بشكل موجز وهي:

معجزة العصا

أرسل الله – عز وجل – نبيه موسى – عليه السلام – رسولاً إلى فرعون وملئه، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، فما كان منهم إلا التكبر والتجبر، والتكذيب والإنكار، فجاءهم موسى – عليه السلام – بالمعجزات الظاهرات، والآيات البينات، منها: انقلاب العصا إلى حية تسعى، وهناك آيات كثيرة نزلت في بيان هذه المعجزة منها قوله – عز وجل – ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ۝ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ۝ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ۝ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه: ١٧ – ٢١]. وقال – سبحانه وتعالى – ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧].

وقد أمر الله – سبحانه وتعالى – بإلقاء العصا على الأرض حتى تتحقق المعجزة، فلما ألقاها جعلها الله حية تسعى، وتحولت إلى ثعبان مبين.

---

(١) التفسير الكبير للرازي (١٤/ ١٦٢، ١٦٣) الطبعة الثانية دار الكتب العلمية، طهران.
(٢) الآيات التسع هي: العصا، واليد، والسنين، والغرق، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع والدم.

ولقد بين الله – ﷻ – بعض خصائص هذه المعجزة وصفاتها فوصفها بأنها حية وأنها ثعبان، وشبهها بالجان. يقول الإمام الرازي: "أما الحية فاسم جنس حية يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير، وأما الثعبان والجان فبينهما تناف، لأن الثعبان، العظيم من الحيات والجان الدقيق وفيه وجهان:

أحدهما: أنها كانت وقت انقلابها حية صغيرة دقيقة ثم قويت وتزايد جرمها حتى صار ثعباناً فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها.

الثاني: أنها كانت في شخص الثعبان، سرعة حركة الجان، والدليل قوله – ﷻ – ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ [النمل: ١٠].

قوله – ﷻ – "كأنها جان" صريح في أنه – ﷻ – شبهها بالجان، ولم يقل أنه في نفسه جان، فلا يكون هذا مناقضاً لكونه ثعباناً، بل شبهها بالجان من حيث الاهتزاز والحركة، لا من حيث المقدار" [(١)].

الحقيقة الإعجازية

تدل الآيات في صراحة واضحة أن العصا قد انقلبت إلى طبيعة حيوانية بعد أن كانت ذات طبيعة جمادية، ولتأكيد هذه الطبيعة فقد وصفت بالبيان في قوله – ﷻ – ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧]. وفي وصف ذلك الثعبان بكونه مبيناً وجوه:

الأول: أنهم لما شاهدوا، لم يشتبه الأمر عليهم في كونه حية.

الثاني: تمييز ذلك عما جاءت به السحرة من التمويه الذي يلتبس على من لا يعرف سببه.

الثالث: أن ذلك الثعبان أبان قول موسى – عليه السلام – عن قول المدعي الكاذب [(٢)].

وكذلك نجد في الآيات من الألفاظ ما يؤكد الطبيعة الحيوانية كوصفها بالسعي في قوله – ﷻ – ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ [طه: ٢٠]. قال الراغب: "السعي: المشي السريع وهو دون العدو"[(٣)]. وكذا وصفها بالاهتزاز في قوله – ﷻ – ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ [النمل: ١٠].

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢٨/٢٢) (٢٤٦/٢٤).
(٢) انظر: التفسير الكبير (١٩٥/١٤).
(٣) انظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن (٢٣٨).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الثالث ٢٠١٩م

قال الراغب: "الهز التحريك الشديد، يقال: هززتُ الرمح فاهتزَّ"[(١)].

وهكذا الألفاظ وقرائن الأحوال كموقف موسى – عليه السلام – ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [النمل: ١٠]. كلها تبين الحقيقة الإعجازية، وأن الانقلاب وقع من المادة الجمادية إلى الطبيعة الحيوانية على الوجه الحقيقي الذي لا يحتمل الشك والارتياب. ثم إن الله – سبحانه وتعالى – أعادها إلى مادتها الأولى بقوله – سبحانه وتعالى – ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه: ٢١].

معجزات عيسى – عليه السلام –

مما لا شك فيه أن عيسى – عليه السلام – أحد أنبياء بني إسرائيل وهو آخرهم، وقد أجرى الله – عز وجل – على يديه كثيراً من المعجزات، احتج بها على دعوته، وأذكر منها في هذا الموضع واحدة منها على سبيل المثال وهي:

معجزة خلق الطير

يقول – سبحانه وتعالى – في شأن هذه المعجزة ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

قال الراغب: "الخلق: أصله التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله – سبحانه وتعالى – وأما الذي يكون بالاستحالة فقد جعله الله – سبحانه وتعالى – لغيره في بعض الأحوال كعيسى – عليه السلام – حيث قال ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠] [(٢)].

وقال أبو حيان في البحر المحيط: "الخلق بمعنى الإنشاء وإبراز العين من العدم الصرف إلى الوجود، وهذا لا يكون إلا لله – سبحانه وتعالى – ويكون بمعنى التقدير والتصوير ويسمون صانع الأديم ونحوه الخالق لأنه يُقَدِّرُ، وأصله في الأجرام وقد نقلوه إلى المعاني منه قوله – سبحانه وتعالى –

(١) انظر: المصدر السابق (٥٤٠).
(٢) انظر: معجم مفردات القرآن (١٥٨).

– ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]. ومما جاء الخلق فيه بمعنى التقدير قوله – سبحانه وتعالى – ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] أي المقدرين"(١).

ومن هنا يتضح لنا أن الخلق يأتي بمعنى إيجاد الشيء من العدم المحض، وهذا من خصائص فعل الله – عز وجل – ويأتي بمعنى التحويل والتصوير من مادة لهيئة أخرى، وهذا هو المراد بقوله – سبحانه وتعالى – في أمر عيسى ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

ويقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: "هل يجوز أن يقال: أنه تعالى أودع في نفس عيسى – عليه السلام – خاصية بحيث متى نفخ في شيء كان نفخه فيه موجباً لصيرورة ذلك الشيء حياً، أو يقال: ليس الأمر كذلك بل لله – سبحانه وتعالى – كان يخلق الحياة في ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى – عليه السلام – فيه إظهاراً للمعجزات وهذا الثاني هو الحق لقوله – سبحانه وتعالى – ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ [الملك: ٢]. وحكى عن إبراهيم – عليه السلام – أن قال في مناظرته مع الملك ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. فلو حصل لغيره هذه الصفة، لبطل ذلك الاستدلال"(٢).

وجه الإعجاز في هذه المعجزة

يقول الإمام ابن كثير: "أن عيسى – عليه السلام – كان يصور من الطين على شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير عياناً بإذن الله – عز وجل – الذي جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله"(٣).

وأما نوع الطير فقد ذكر الألوسي أن الطائر كان خفاشاً وقيل: خلق أنواعاً من الطير(٤)

ووجه خرق العادة في هذه المعجزة، ذلك أن مادة المعجزة هي الطين، وهو مزيج من التراب والماء، فهو مادة جمادية لا حياة فيها ولا حركة، وقد تحولت هذه المادة الجمادية إلى

(١) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٤٦٥) مكتبة ومطابع النصر، الرياض، المملكة العربية السعودية.
(٢) انظر: التفسير الكبير (٥٦/٨).
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤١/٢).
(٤) انظر: روح المعاني للألوسي (١٦٨/٣)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

طير حقيقي بإذن الله – ﷻ – له خصائص الطائر الحي، كما هو مستفاد من ظاهر الآيات، وكلام المفسرين.

معجزات الرسول – ﷺ –

قد ظهرت على يدي رسولنا محمد – ﷺ – معجزات كثيرة حسية ومعنوية، بالإضافة إلى الإرهاصات التي كانت كتوطئة وتأسيس لبعثته – عليه السلام – وقد جُمع لنبينا محمد – ﷺ – جميع أنواع المعجزات، وذلك أن صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم، والقدرة، والغنى. وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلا لله – ﷻ – فإنه الذي أحاط بكل شيء علماً، وهو على كل شيءٍ قدير، وهو غني عن العالمين. وإنما ينال العبد من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله – ﷻ – فيعلم منه ما علَّمه إياه، ويقدر منه ما أقدره الله عليه ويستغني عمَّا أغناه الله من الأمور المخالفة للعادة المطردة، أو لعادة غالب الناس.

وجميع المعجزات والخوارق تعود إلى هذه الصفات الثلاثة، وقد جمعها الله – ﷻ – لنبينا محمد – ﷺ – فهو أعطي جميع أنواع المعجزات والخوارق [١].

وأذكر في هذا الموضع بعض النماذج من المعجزات المعنوية والحسية فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: المعجزة العظمى: تعتبر المعجزة القرآنية هي المعجزة العظمى الخالدة الأساسية التي اعتمد عليها النبي – ﷺ – في إثبات رسالته، وهي معجزة عقلية معنوية باقية إلى يوم القيامة. وذلك أن العرب كانوا أمراء الفصاحة وفرسان البلاغة وفيهم الشعراء والخطباء، والعالمون بأساليب البلاغة والفصاحة. فلما عرض الرسول – ﷺ – القرآن عليهم، وأخذ يتحداهم، نظر فيه علماء البلاغة والفصاحة، وأيقنوا أنهم أعجز من أن يأتوا بآية واحدة مثل آياته[٢].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣١٢/١١ ـ ٣١٨) طبعة (١٤٠٤هـ) إدارة المساحة العسكرية، القاهرة تنفيذ: مكتبة النهضة الحديثة، مكة، شارع الحرم.

(٢) انظر: معجزات المصطفى – ﷺ - لخير الدين وائلي (٩ - ٢٣) الطبعة الأولى (١٣٩٨ هـ) مؤسسة ومكتبة الخافقين دمشق.

- نبوة محمد - ﷺ - في القرآن لحسن ضياء الدين عتر (٢٤٤، ٢٤٥) الطبعة الأولى (١٣٩٣ هـ) دار النصر، حلب، سوريا.

ومازال القرآن الكريم، ولن يزال يتحدى العالم كله في كل زمان ومكان، ولن يستطيع العالم مهما أوتي من علوم البلاغة والفصاحة وغيرهما، أن يعارض آية من كتاب الله – سبحانه وتعالى – وصدق الله إذ قال ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقد ذكر شيخ الإسلام – رحمه الله – أن القرآن الكريم معجز بلفظه ونظمه ومعناه وإعجازه يُعلم بطريقين: جملي، وتفصيلي. أما الجملي فهو أنه قد عُلم بالتواتر أن محمداً – صلى الله عليه وسلم – ادعى النبوة وجاء بهذا القرآن وأن في القرآن آيات التحدي والتعجيز كقوله – سبحانه وتعالى – ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤]. فتحداهم هنا أن يأتوا بمثله. وقال في موضع آخر ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود: ١٣]. وقال في موضع آخر ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

وأخبر مع ذلك أنهم لن يفعلوا فقال – عز وجل – ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وأما التفصيلي فطرقه كثيرة جدًّا، ومن وجوه متنوعة، وليس كما يظنه بعض الناس إن معجزته من جهة صرف الدواعي عن معارضته، وقول بعضهم إنه من جهة فصاحته، وقول بعضهم إنه من جهة إخباره بالغيوب إلى أمثال ذلك [١].

وقد بحث العلماء في وجوه إعجاز القرآن الكريم قديماً وحديثاً، وعُنُوا بهذا الجانب عناية فائقة، واكتشفوا وجوهاً كثيرة، فبعضهم أوصلها إلى ستين وجهاً والبعض الآخر أوصلها إلى أكثر من ذلك، وقد لخَّص هذه الوجوه الإمام الماوردي في عشرين وجهاً [٢].

رأي المعتزلة في الإعجاز القرآني والرد عليه:

ذهب "النظَّام" من المعتزلة إلى القول بالصرفة بمعنى: أن الله – سبحانه وتعالى – صرف العرب عن معارضة القرآن، وسلب علومهم، مما جعلهم يعجزون عن الاتيان بمثل هذا القرآن [٣].

(١) انظر: شرح العقيدة الإصفهانية (٢٦٦ - ٢٦٩).
(٢) انظر تفاصيل هذه الوجوه العشرين في: أعلام النبوة للماوردي (٧٤ - ٩٠).
(٣) انظر: الفَرق بين الفِرق للبغدادي (١٤٢) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط(١٤١١هـ) المكتبة العصرية، بيروت لبنان.
- المِلل والنحل للشهرستاني (٥٦، ٥٧) دار الفكر، بيروت، لبنان.

وهذا القول باطل لا أساس له من الصحة، والدليل على ذلك قوله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

فإن هذه الآية أدل دليل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبت القدرة، لم تبق فائدة لاجتماعهم، لأن اجتماعهم حين تسلب القدرة بمنزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحفل بذكره هذا، مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن الكريم، فلا يكون معجزاً إلا إذا كان فيه صفة الإعجاز. ثم إن القول بالصرفة يلزم منه زوال الإعجاز بزوال زمن التحدي، وخلوّ القرآن الكريم من الإعجاز، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة على أن معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية سوى القرآن الكريم، إذاً فالقول بأن الإعجاز القرآني سببه صرف الله الناس عن الاتيان بمثله قول باطل، ومخالف لإجماع الأمة، لا يصح الاعتبار به [1].

ثانياً الإسراء والمعراج: يُعَدُّ الإسراء والمعراج معجزة عظيمة لرسولنا محمد – ﷺ – حيث أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى قال – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

أسري بجسده وروحه – عَلَيْهِ السَّلَامُ – في حال اليقظة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكباً على البراق، صحبة جبريل – عَلَيْهِ السَّلَامُ – فنزل هناك، وصلى بالأنبياء إماماً، وربط البراق بحلقة باب المسجد. ثم عُرِج به في تلك الليلة من بيت المقدس إلى السماء الدنيا، ثم إلى السماء الثانية، وهكذا حتى وصل السابعة، ثم رُفِعَ إلى سدرة المنتهى، ثم رُفِعَ له البيت المعمور، ثم عُرِجَ به إلى الجبار – جَلَّ جَلَالُهُ – ثم دنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى [2]، فأوحى إلى عبده

---

(١) انظر: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن للزملكاني (٥٣) الطبعة الأولى (١٣٩٤ هـ) مطبعة العاني، بغداد.

(٢) وقع خلاف بين العلماء في هذا الدنو والتدلي، فذهب فريق إلى أن الدنو والتدلي في حديث الإسراء هو دنو الرب سبحانه وتعالى وتدليه، وما جاء في سورة النجم ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ هو دنو جبريل وتدليه كما قالت عائشة وابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -. وذهب فريق آخر إلى أن ما جاء في قصة الإسراء من دنو الرب وتدليه من الزيادات التي انفرد بها الراوي شريك بن عبد الله بن أبي نمر، وهي معدودة في جملة أوهامه لأنها من الزيادات المجهولة التي لم يأت بها الحفاظ، وشريك ليس بالحافظ، فلا يعتمد على زيادته. وهذا هو الراجح، والله أعلم. انظر: فتح الباري (٤٩٢/١٣، ٤٩٣) زاد المعاد (٣٨/٣) تفسير القرآن العظيم (٢٤٩/٤ - ٢٥١).

ما أوحى، وكلَّمه ربُّه، وفَرَضَ عليه الصلاة خمسين وخُفِّفَتْ بمراجعة موسى - عليه السلام - إلى خمس صلوات.

ورأى في تلك الليلة من الآيات الكبرى أموراً كثيرة منها: جبريل - عليه السلام - على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها، وله ستمائة جناح، وسدرة المنتهى، والبيت المعمور ورفرفاً أخضر قد سدَّ الأفق، والجنة والنار، كما رأى الأنبياء - عليهم السلام -.

والصحيح أن النبي - ﷺ - لم ير ربَّه عياناً، وصحَّ عنه أنه قال لما سئل عن ذلك: "نور أنى أراه [(١)]" وفي رواية "رأيتُ نوراً [(٢)]" وبهذا يتضح أنه لا يرى الله أحد في الدنيا، وأما في الآخرة فإن المؤمنين يرون ربَّهم قطعاً كما وردت بذلك نصوص صحيحة وصريحة [(٣)].

وجه الإعجاز

وجه الإعجاز في هذه المعجزة يتجلى من وجهين:

الأول: انطلاق الرسول - ﷺ - من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بمدينة القدس ثم العروج إلى السموات السبع وما فوق السبع ومشاهدة ملكوت الله - سبحانه وتعالى - والآيات الكبرى، ثم رجوعه إلى مكة كل ذلك تم في جزء من الليل وحركة بالغة السرعة، وهو خارق للعادة [(٤)].

الثاني: كان الإسراء والمعراج في حال اليقظة بالجسد والروح، حيث فتح الله لنبيه - ﷺ - أبواب السموات، فصعد فيها، وأما الخرق والالتئام في الأجرام السماوية فليس بممتنع عند أهل الإسلام بخلاف الفلاسفة وبعض المعتزلة كالنظام وغيره [(٥)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "وكان قطع المسافة البعيدة في الزمان اليسير لأجل ما أراه من الآيات التي تختص برؤيتها الأنبياء. وبهذا تميز عمن يقطع المسافة كرامةً لولي، أو بتسخير الجن" [(٦)].

---

(١) جزء من حديث أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب ما جاء في رؤية الله - عز وجل - (١٢/٣) المطبوع مع شرح النووي.
(٢) جزء من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - رواه مسلم في صحيحه (١٢/٣) المطبوع مع شرح النووي.
(٣) انظر: كتاب السير والمغازي لمحمد إسحاق (٢٩٥، ٢٩٦) تحقيق: الدكتور سهيل زكار، الطبعة الأولى (١٣٩٨هـ) دار الفكر.
- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم (٣٤/٣ - ٤٣) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الخامسة عشر (١٤٠٧ هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت.
(٤) انظر: التفسير الكبير (١٤٩/٢٠).
(٥) انظر: روح المعاني (٩/١٥).
(٦) انظر: دلائل النبوة (١١٠).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الثالث ٢٠١٩م

ثم ناقش – أي شيخ الإسلام – الفلاسفة في إنكارهم الخرق والالتئام للأجرام السماوية، وفنَّد مزاعمهم وأبطل شبهاتهم بالأدلة النقلية والعقلية(١).

ثالثاً: معجزة انشقاق القمر: روى البخاري في صحيحه عن ابن مسعود – رضي الله عنه– قال: "انشق القمرُ على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه. فقال الرسول الله – صلى الله عليه وسلم –: اشهدوا".

وفي رواية أنس – رضي الله عنه – قال: "سأل أهل مكة أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر" (٢).

وجه الإعجاز

وجه الإعجاز في هذه المعجزة، وقوع هذا الحدث الكوني الهائل حيث انفلق القمر إلى فلقتين ثم التأم من جديد، وهو أمر خارق للعادة وقد شاهد ذلك أهل مكة في ذلك الوقت، حتى قال المشركون: هذا سِحْرٌ سَحَرَكُمْ به ابن أبي كبشة، انظروا السُفَّار فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق. وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم، فهو سِحْرٌ سَحَرَكُمْ به فَسُئِلَ السفار، وقدموا من كل وجهة فقالوا رأينا (٣).

وقد تقدم أن الخرق والالتئام في الأجرام الفلكية ممكن. قال الرازي: "وإمكانه –أي: انشقاق القمر– لا يُشَكُّ فيه، وقد أخبر عنه الصادق، فيجب اعتقاد وقوعه وحديث امتناع الخرق والالتئام، حديث اللئام، وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على السموات" (٤).

وقد ذكر شيخ الإسلام – رحمه الله – أن انشقاق القمر كان لحكمتين عظيمتين:

الأولى: كونه من آيات النبوة لما سأله المشركون آية، فأراهم انشقاق القمر.

الثانية: أنه دلالة على جواز انشقاق الأجرام السماوية، وجعل الله – سبحانه وتعالى – الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب، لأنه أقرب إلى الأرض من الشمس والنجوم، كما أن القمر هو الجسم المستنير الذي يظهر فيه الانشقاق لكل من يراه ظهوراً لا يتمارى فيه. وقد عاينه الناس وشاهدوه، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، مثل صلاة الجمعة، وصلاة العيدين، ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها، والاعتبار بما

(١) نفس المصدر (١١٨ - ١٢١).
(٢) انظر: صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٤٨٣/٨، ٤٨٤ برقم ٤٨٦٤، و٤٨٦٧) ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى (١٤٠٩ هـ) القاهرة.
(٣) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (١٧٦/١٠).
(٤) انظر: التفسير الكبير (٢٨/٢٩). أيضاً: روح المعاني (٧٦/٢٧).

فيها وكل الناس يقر بذلك ولا ينكره، فعُلم أن انشقاق القمر كان معلوماً عند الناس عامة [(١)].

رابعاً: الإخبار عن المغيبات الماضية والمستقبلية: أما الماضية كقصص الأنبياء – عليهم السلام – وقصص الأمم البالية كما جاء في قوله – تعالى – ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

وأما الإخبار عن الأمور المستقبلية فكما روى البخاري في صحيحه عن حذيفة – رضي الله عنه – قال: "خطبنا النبي – ﷺ – خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه وجهله من جهله، إن كنتُ لأرى الشيء قد نسيته فأعرفه كما يعرف الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه"[(٢)(٣)].

خامساً: إجابة دعوته – ﷺ -: روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أن النبي – ﷺ – كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد. فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي – ﷺ – وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني شيئاً، لو كانت لي منعة. قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض ورسول الله – ﷺ – ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة، فطرحتْ عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات. فشق عليهم إذا دعا عليهم. قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة. ثم سمَّى: اللهم عليك بأبي جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط وعدَّ السابع فلم نحفظه. قال: فو الذي نفسي بيده، لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله – ﷺ – صرعى في

---

(١) انظر: دلائل النبوة (١٠٤، ١٠٥).
(٢) انظر: صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٥٠٣/١١ برقم ٦٦٠٤).
(٣) جمع الشيخ رحمت الله الهندي مجموعة كبيرة من المغيبات المستقبلية التي أخبر عنها الرسول - ﷺ - كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، ووقعت كما أخبر عنها، فمنها على سبيل المثال:
١. إخباره - ﷺ - بفتح مكة، وبيت المقدس، واليمن، والشام، والعراق.
٢. إخباره - ﷺ - عن ظهور الأمن حتى ترحل المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله.
٣. إخباره - ﷺ - أن المسلمين يقسمون كنوز ملك فارس، وملك الروم... وغير ذلك.
انظر التفاصيل في: إظهار الحق (١٠٠٠/٤ - ١٠١٩).

القليب قليب بدر" [١]. هذه بعض النماذج لمعجزات نبينا محمد - ﷺ - الحسية والمعنوية. وقد عني العلماء بهذا الموضوع قديماً وحديثاً وألفوا في ذلك كتباً مشهورة [٢].

المبحث الثالث: الفرق بين المعجزة وبين غيرها من الخوارق.

بعد أن بينت مفهوم المعجزة، وأنواعها، ونماذج منها أريد أن أبين الفروق بين المعجزة وبين الخوارق الأخرى من كرامة وغيرها، فأقول وبالله التوفيق.

الفرق بين المعجزة والكرامة

الكرامة أمر خارق للعادة يظهر على يد ولي من الأولياء [٣]. وأن المعجزات والكرامات متماثلة في كونها ناقضة للعادات، ويفرق بينهما من عدة وجوه وهي تتلخص فيما يأتي:

الوجه الأول: أن ما يدل على صدق الأنبياء يسمى معجزة وما يظهر على يد الأولياء يسمى كرامة، وذلك تمييزاً بينهما.

الوجه الثاني: أن صاحب المعجزة لا يكتم معجزته، بل يظهرها ويتحدى به خصومه ويقول: إن لم تصدقوني فعارضوني بمثلها. وأما صاحب الكرامة فيحاول كتمانها، ولا يدعي فيها، فإن أطلع الله عليها بعض عباده، كان ذلك تنبيهاً، لما أطلعه الله - سبحانه وتعالى - عليها على حسن مكانة صاحب الكرامة عنده، أو على صدق دعواه من الحال.

الوجه الثالث: أن صاحب المعجزة مأمون التبديل معصوم من الكفر والمعصية بعد ظهور المعجزة عليه. وصاحب الكرامة لا يؤمن تبدل حاله، فإن "بلعم بن باعورا" أوتي من هذا الباب ثم ختم له بالشقاء [٤].

الوجه الرابع: أن النبي - ﷺ - يدعي المعجزة ويقطع بها والولي إذا ادعى الكرامة لا يقطع بها لأن المعجزة يجب ظهورها، وأما الكرامة فلا يجب ظهورها.

الوجه الخامس: أنه يجب نفي المعارضة عن المعجزة ولا يجب نفيها عن الكرامة.

---

(١) انظر: صحيح البخاري (١/ ٢٤٩ برقم ٢٤٠).
(٢) من الكتب الحديثة التي ألفت في هذا الصدد: كتاب المعجزات المحمدية، تأليف: وليد الأعظمي نشره المكتب الإسلامي بيروت ودمشق. وكتاب معجزات المصطفى - ﷺ - تأليف: خير الدين وائلي نشرته: مؤسسة ومكتبة الخافقين، دمشق.
(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/٧٤٦) تحقيق: الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، الطبعة الخامسة (١٤١٣ هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت.
(٤) انظر: أصول الدين (١٧٤، ١٧٥).

الوجه السادس: لا يجوز ظهور الكرامة على الولي عند ادعاء الولاية، إلا إذا أقر عند تلك الدعوى بكونه على دين ذلك النبي، ومتى كان الأمر كذلك، صارت تلك الكرامة معجزة لذلك النبي، ومؤكدة لرسالته [١].

ذكر شيخ الإسلام – رحمه الله – إن المتكلمين الذين فرقوا بين المعجزة والكرامة، فبعضهم لم يأتوا بفرق معقول بينهما، والبعض الآخر أتوا بفروق ضعيفة، لا تشفي العليل، ولا تروي الغليل، ثم قال في التفريق بين المعجزة والكرامة والخوارق الأخرى:

"فيقال: المراتب ثلاثة: آيات الأنبياء، ثم كرامات الصالحين، ثم خوارق الكفار والفجار كالسحرة والكهان، وما يحصل لبعض المشركين وأهل الكتاب، والضلال من المسلمين. أما الصالحون الذين يَدْعُوْن إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها، فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء. فإنهم يقولون: نحن إنما حصل لنا هذا باتباع الأنبياء ولو لم نتبعهم لم يحصل لنا هذا. فهؤلاء إذا قُدِّرَ أنه جرى على يد أحدهم ما هو من جنس ما جرى للأنبياء كما صارت النار برداً وسلاماً على أبي مسلم، كما صارت على إبراهيم. وكما يكثر الله الطعام والشراب لكثير من الصالحين، كما جرى في بعض المواطن للنبي، أو إحياء الله ميتًا لبعض الصالحين كما أحياه للأنبياء. فهذه الأمور هي مؤكدة لآيات الأنبياء، وهي أيضاً من معجزاتهم بمنزلة ما تقدم من الإرهاص، ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين، فلا تبلغ كرامات أحد إلى مثل معجزات المرسلين، كما أنهم لا يبلغون في الثواب إلى درجاتهم، ولكن قد يشاركونهم في بعضها، كمل قد يشاركونهم في بعض أعمالهم. وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول لا تدل على أن الولي معصوم، ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقوله" [٢].

خلاصة كلام الشيخ أن كرامات الصالحين من ضمن معجزات الأنبياء، ولكن لا تصل الكرامة إلى منزلة المعجزة، كما لا يصل الولي إلى درجة النبي، ثم إن النبي معصوم، ولا عصمة لولي. وأما أعمال السحرة والكهان وغيرهم، فهي مناقضة لأعمال النبوة.

(١) انظر: التفسير الكبير (٢١/ ٩٢، ٩٣).
(٢) انظر: كتاب النبوات (٤، ٥).

الفرق بين المعجزة والاستدراج

الاستدراج كما يقول الرازي: "من أراد شيئاً فأعطاه الله مراده، لم يدل ذلك على كون ذلك وجيهاً عند الله – ﷻ – سواء كانت العطية على وفق العادة أو لم تكن على وفق العادة بل قد يكون ذلك إكراماً للعبد، وقد يكون استدراجا له، قال – ﷻ – ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]. ومعنى الاستدراج أن يعطيه الله كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وجهله وعناده فيزداد كل يوم بعداً عن الله"(١).

وتحقيق ذلك كما ثبت في العلوم العقلية أن تكرر الأفعال سبب لحصول الملكة الراسخة، فإذا مال قلب العبد إلى الدنيا، ثم أعطاه الله مراده فحينئذ يصل الطالب إلى المطلوب وذلك يوجب حصول اللذة وحصول اللذة يزيد في الميل، وحصول الميل يوجب مزيد السعي، ولا يزال يؤدي كل واحد منهما إلى الآخر وتتقوى كل واحدة من هاتين الحالتين درجةً فدرجة ومعلوم أن الاشتغال بهذه اللذات العاجلة مانع عن مقامات المكاشفات ودرجات المعارف، فلا جرم يزداد بعده عن الله درجةً فدرجة إلى أن يتكامل فهذا هو الاستدراج. ولهذا الاستدراج أسماء أخرى منها المكر، ومنها الكيد، ومنها الإملاء (٢). ويمكن الفرق بينه وبين المعجزة من وجوه:

الوجه الأول: أن المعجزة تظهر على يد مدعي النبوة صدقاً والاستدراج يظهر على يد الكاذب.

الوجه الثاني: أن المعجزة مقرونة بالتحدي، والاستدراج غير مقرون بالتحدي.

الوجه الثالث: أن المعجزة لا يمكن معارضتها، أما الاستدراج فيمكن معارضتها. وبهذا يتجلى الفرق واضحاً بين المعجزة والاستدراج.

الفرق بين المعجزة والسحر

السحر لغة كما يقول صاحب القاموس المحيط: "السحر يحرك ويضم ومعناه الرئة والجمع سحور وأسحار. وانتفخ سحره ومساحره أي: عدا طوره وجاوز قدره. وانقطع منه سحرى أي يئست منه. والسحور كصبور ما يتسحر به، والسحر قبيل الصبح. والسحر كل ما لطف

(١) انظر: التفسير الكبير (٩٣/٢١).
(٢) نفس المصدر (٩٣/٢١).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الثالث ٢٠١٩م

مأخذه ودق. "وإن من البيان لسحراً"[١] أي: أنه يمدح الإنسان، فيصدق فيه حتى يصرف قلوب السامعين إليه، ويذم فيصدق فيه حتى يصرف قلوبهم منه أيضاً"[٢].

ويقول القرطبي: "إن السحر مشتق من سحرت الصبيَّ إذا خدعته، وكذلك إذا عللته، والتسحير مثله قال لبيد:

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر.

وقيل: أصله الخفاء، فإن الساحر يفعله في خفية وقيل: أصله الصرف. يقال: ما سحرك عن هذا أي: ما صرفك عنه، فالسحر معروف عن جهته. وقيل: أصله الاستمالة فكل من استمالك فقد سحرك".

والسحر في الاصطلاح: التمويه بالحيل والتخاييل، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هي به كالذي يرى السراب من بعيد، فيخيل إليه أنه ماء وكراكب السفينة السائرة حثيثاً يخيل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه".

والفرق بين المعجزة والسحر: أن السحر يوجد من الساحر وغيره، وقد يكون جماعة يعرفونه، ويمكنهم الاتيان في وقت واحد.

وأما المعجزة فلا يمكن الله أحداً أن يأتي بمثلها وبمعارضتها. ثم إن الساحر لم يدَّعِ النبوة، فالذي يصدر عنه متميز عن المعجزة فإن المعجزة شرطها اقتران دعوى النبوة والتحدي بها [٣].

(١) جزء من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - رواه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب إن من البيان سحراً (٢٤٧/١٠ برقم ٥٧٦٧).
(٢) انظر: ترتيب القاموس المحيط (٥٢٨/٢).
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٣، ٤٧) الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية.

الفرق بين المعجزة والكهانة

الكهانة هي استراق السمع أي: الإخبار ببعض الغائبات [١] عن طريق الجن وكان الكهان قبل المبعث كثير. وأما بعد المبعث فإنهم قليل. لأن الله -ﷻ- حرس السماء بالشهب وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجن أوليائهم من الإنس عن الأشياء الغائبة، بما يقع في الأرض من الأخبار فيظنه الجاهل كشفاً وكرامة.

ويتم ذلك من تآلف روح الشيطان القرين مع روح قرينه الإنسان الخبيث فيتناجيان ويتكلم الشيطان مع قرينه بما يحب من الأخبار التي يتلقاها الشيطان من الشيطان قرين الإنسان الآخر فيخبر شيطان الإنس بما أوحى إليه شيطان الجن من أخبار السائل وأحواله في منزله وخصوصية نفسه مما ألقاه إليه الشيطان القرين، فيظن الجهلة والمغفلون أن ذلك عن صلاح وتقوى وكرامات، وهو من أضل الضلال، وأعظم الخذلان [٢].

وقد فرق شيخ الإسلام بين آيات الأنبياء وبين الكهانة والسحر من وجوه كثيرة وهي تتلخص فيما يأتي:

أولاً: أن ما يخبر به الأنبياء لا يكون إلا صدقاً، وما يخبر به من السحرة والكهان وأهل البدع والفجور فإنه لا بد فيه من الكذب.

ثانياً: أن الأنبياء لا يأمرون إلا بالعدل، ولا يفعلون إلا العدل، وأما الكهان والسحرة والمخالفون للأنبياء لابد لهم من الظلم والعدوان وفعل الفواحش والقول على الله بلا علم وهي المحرمات التي حرمها الله -ﷻ- مطلقاً.

ثالثاً: أن ما يأتي به السحرة والكهان معتاد لغير الأنبياء، كما هو معتاد لهم وللعباد من المشركين وأهل الكتاب، وأهل البدع والفجور. وأما آيات الأنبياء فهي معتادة أنها تدل على خبر الله وأمره، وعلى علمه وحكمه فتدل على أنهم أنبياء وعلى صدق من أخبر بنبوتهم.

---

(١) المقصود بالغائبات، ما غاب عنا من الأمور الماضية، أو الحالية وذلك بعد وقوعها، فيلقي الجان ذلك إلى الكاهن. وأما غيب المستقبل فلا يعلمه أحد لا جان، ولا ملك، ولا كاهن. قال - ﷻ - ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

(٢) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (٣٠٦) تعليق: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ) دار القلم، بيروت، لبنان.

رابعاً: أن ما يأتي به السحرة والكهان ومن شاكلهم من أهل الملل، لا يخرج عن كونه مقدوراً للإنس والجن، وآيات الأنبياء لا يقدر على مثلها لا الإنس ولا الجن كما قال -ﷻ- ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

خامساً: أن ما يأتي به الكهان والسحرة، وكل مخالف للرسل، تمكن معارضته بمثله وأقوى منه. وأما آيات الأنبياء فلا يمكن لأحد أن يعارضها لا بمثلها، ولا بأقوى منها وكذلك كرامات الصالحين، لا تعارض بمثلها، ولا بأقوى منها. قد يكون بعض آيات أكبر من بعض، ولكنها متصادقة ومتعاونة على مطلوب واحد، وهو عبادة الله وتصديق رسله.

سادساً: أن آيات الأنبياء هي الخارقة للعادات عادات الإنس والجن بخلاف خوارق مخالفيهم من الكهان والسحرة، فإن كل نوع منها معتاد لطائفة غير الأنبياء وآيات الأنبياء ليست معتادة لغيرهم.

سابعاً: أن آيات الأنبياء لا يقدر عليها مخلوق فلا تكون مقدورة للملائكة، ولا للجن ولا للإنس، وإن كانت الملائكة قد يكون لهم فيها سبب. بخلاف خوارق الكهان والسحرة فهي إما مقدورة للإنس أو للجن، أو ممن يمكنهم التوصل إليها بسبب.

ثامناً: أن خوارق غير الأنبياء من السحرة والكهان تنال بأفعالهم كعبادتهم ودعائهم وشركهم وفجورهم ونحو ذلك. وأما آيات الأنبياء فلا تحصل بشيء من ذلك بل الله يفعلها آية وعلامة لهم [١].

وهذه فروق مستفيضة بين معجزات الأنبياء وبين مخاريق الكهان والسحرة ومن هو على شاكلهم من أهل البدع والشرك.

الفرق بين المعجزة وبين المعونة

قال الباجوري: "وأما المعونة فهي ما يظهره الله – ﷻ – على يد العوام تخليصاً لهم من شدة"[٢]. والله – ﷻ – جعل المعونة رحمة للعالمين، ورحمته وسعت كل شيء فهو يعين كل محتاج إليه حتى الفاسقين منهم.

(١) انظر: كتاب النبوات (٢٧٨ ـ ٢٨٣).
(٢) انظر: شرح جوهرة التوحيد (٢٩٨) مراجعة وتقديم: الأستاذ عبد الكريم الرفاعي، طبعة (١٣٩٢ هـ) مكتبة الغزالي حماة.

ومما تقدم من تعريف المعجزة نستطيع نفرق بينها وبين المعونة أنها إعانة من الله – ﷻ – لعباده، بينما المعجزة دليل على اصطفاء الله – ﷻ – لرسوله. فالمعجزة ترتبط بالتحدي ودعوى الرسالة، وأما المعونة فلا ترتبط بهما، ولذلك كانت المعونة شاملة لجميع عباد الله المحسن منهم، والمسيء على حد سواء.

الفرق بين المعجزة وبين الإهانة

قال الباجوري: "وأما الإهانة فهي ما يظهر على يد الفاسق تكذيباً له، كما وقع لمسيلمة الكذاب فإنه تفل في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة، وتفل في بئر لتعذب مياهه فغارت"[١]. إذاً فالخوارق التي تظهر على خلاف مراد الذي ادعى النبوة كذباً تعتبر من الأدلة على كذب المدعي وإهانته، كما حصل لمسيلمة الكذاب وأمثاله في القديم والحديث فالفرق بين المعجزة والإهانة أن المعجزة تظهر على يد مدعي النبوة صدقاً، ولا يمكن معارضتها، وأما الإهانة فتظهر على يد مدعي النبوة كذباً خلاف مراده ويمكن معارضتها.

كما أن هناك فرقاً شاسعاً بين النبي والمتنبي من حيث الصفات والأفعال والأخبار فالنبي صفاته حسنة والمتنبي صفاته شريرة، وكذلك أفعال النبي وأخباره بالخير والعدل والإحسان والمتنبي أفعاله وأخباره خلاف ذلك[٢].

---

(١) نفس المصدر (٢٩٨، ٢٩٩).
(٢) انظر: كتاب النبوات (٨).

الفصل الثاني: إثبات المعجزة، ودلالتها على صدق الرسول – ﷺ –

المبحث الأول: إثبات المعجزة، ومناقشة شبهات المنكرين:

مما لا شك فيه أن المعجزة ليست من الأمور المستحيلة، بل هي ممكنة عقلاً، وهي آية من آيات الله – ﷻ – خارقة، والسنن الكونية من صنع الله، وهو وحده القادر على خرقها بأمره وإرادته، فلا غرابة في أن يغير الله – ﷻ – سنة من سننه، ومع ذلك فقد أنكر البعض المعجزة وهم الفلاسفة، والآخرون لم ينكروا ظهورها، ولكن أنكروا دلالتها على صدق النبوة، والبعض الآخر أنكر إفادتها للعلم بناءً على أنها ثبتت بالخبر الواحد وزعم البعض أن ما يسمى بالمعجزات هو من قبيل الحيل والشعوذة وأن لها أسباباً وقوى يستطيع من يتعلمها أن يأتي بمثلها، فهي إذن لا تدل على نبوة من ظهرت على يديه. وفي هذا المبحث استعراض أراء هؤلاء الطوائف جميعاً، والرد عليهم بشكل تفصيلي:

الطائفة الأولى: الفلاسفة:

من الذين أنكروا المعجزة **الفلاسفة** (١)، وذلك بناءً على قاعدتهم أن الاقتران المشاهد في الوجود بين الأسباب والمسببات، اقتران تلازم بالضرورة، فليس في المقدور ولا في الإمكان إيجاد السبب دون المسبب، ولا وجود المسبب دون السبب.

وينبني على هذه القاعدة استحالة جميع ما ثبت من المعجزات الخارقة للعادة، من قلب العصا ثعبانًا، وإحياء الموتى، وشق القمر، فأنكروها، وأولوا ما جاء في القرآن من إحياء الموتى بأن المراد منه إزالة موت الجهل بحياة العلم، وأولوا تلقف العصا سحر السحرة بإبطال

---

(١) الفلاسفة ثلاثة أصناف:
الأول: الدهريون: وهم طائفة من الفلاسفة القدماء الذين جحدوا الخالق، والبعث والنشور، وزعموا أن العالم كان، ولم يزل موجوداً، فهؤلاء زنادقة.
الثاني: الطبعيون: وهو قوم أكثر بحثهم عن عالم الطبيعة، وعن عجائب الحيوان والنبات، ولكنهم زعموا أن النفس تموت وتنعدم، وإذا انعدمت فلا تعقل إعادة المعدوم، فجحدوا الآخرة والجنة والنار والقيامة والحساب وهؤلاء أيضاً زنادقة.
الثالث: الإلهيون: وهو المتأخرون من الفلاسفة مثل سقراط، وأفلاطون، وأرسطاطاليس، وهذا الأخير هو الذي رتَّب العلوم المنطقية والفلسفية وهؤلاء ردُّوا على الصنف الأول والثاني وفضحوهم، ثم ردَّ بعضهم على بعض إلا أنه بقي عندهم من الكفر والبدع ما يوجب تكفيرهم.
ونقل كلامهم من الفلاسفة المسلمين كابن سينا والفارابي وغيرهما.
والمقصود بالفلاسفة هنا الصنف الثالث، وهم الإلهيون.
انظر: شرح العقيدة الإصفهانية (١٨٦، ١٨٧).

الحجة الإلهية الظاهرة على موسى – عليه السلام – شبهات المنكرين، وأما شق القمر فأنكروه وقالوا: إنه لم يتواتر[١].

وقد ناقشهم الإمام الغزالي وفنّد آراءهم وبين أن الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وبين ما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً، بل كل شيئين ليس هذا ذاك، ولا ذاك هذا، ولا إثبات أحدهما يتضمن لإثبات الآخر. ولا نفيه يتضمن لنفي الآخر، فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر، مثل الري والشرب والاحتراق ولقاء النار، والشفاء وشرب الدواء، وما إلى ذلك من المقترنات.

فإذا أخذنا مثال الاحتراق في القطن مثلاً عند ملاقاة النار، فإنه يجوز وقوع الملاقاة بينهما دون الاحتراق، كما يجوز حدوث انقلاب القطن رماداً محترقاً دون ملاقاة النار.

والفلاسفة ينكرون ذلك، ويدعون استحالته بدليلين:

الدليل الأول: أن فاعل الاحتراق هو النار فقط عند ملاقاتها بالقطن وهو فاعل بالطبع لا بالاختيار، فلا يمكنه الكف عما في طبعه، بعد ملاقاته لمحل تابع له.

يرد على هذا الدليل أن فاعل الاحتراق هو الله – سبحانه وتعالى – بخلق السواد في القطن والتفرق في أجزائه، إما بوساطة أو بغير وساطة، وأما النار فهي جماد فلا فعل لها.

وليس لهم دليل على أن النار هي الفاعل إلا المشاهدة وهي حصول الاحتراق عند ملاقاة النار، والمشاهدة تدل على الحصول عندها، ولا تدل على الحصول بها، وأنه لا علة له سواها.

وهذا يتجلى في مثال الأب بالنسبة إلى ابنه على أن الأب ليس فاعلاً لابنه بإيداع النطفة في الرحم، ولا هو فاعل حياته ولا سمعه، وبصره، وسائر المعاني التي فيه. ومعلوم أنها موجودة عنده، وليس موجودة به، بل وجودها من جهة الأول إما بغير واسطة، وإما بواسطة الملائكة الموكلين بهذه الأمور الحادثة وبهذا تبطل دعواهم، بأن النار هي الفاعلة للاحتراق والخبز هو الفاعل للشبع، والدواء هو الفاعل للصحة، وما إلى ذلك من الأسباب.

(١) انظر: تهافت الفلاسفة للغزالي (٢٣٥، ٢٣٦) تحقيق وتقديم: الدكتور سليمان دنيا، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الثالث ٢٠١٩م

الدليل الثاني: أن الأعراض والحوادث تفيض من مبادئها ولكن الاستعداد لقبول الصور بهذه الأسباب المشاهدة الحاضرة، وتلك المبادئ تصدر منها الأشياء باللزوم والطبع لا على سبيل التروي والاختيار، كما يصدر النور من الشمس، وإنما افترقت المحال في القبول لاختلاف استعدادها، والمثال على ذلك كما أن الجسم الصقيل يقبل شعاع الشمس ويرده حتى يستضئ به موضع آخر، والهواء لا يمنع نفاذ نوره، والحجر يمنع وبعض الأشياء يلين بالشمس وبعضها يتصلب، والمبدأ واحد وهو الشمس والآثار مختلفة لاختلاف الاستعدادات في المحل، فكذلك مبادئ الوجود فياضة بما هو صادر منها، وإنما التقصير من القوابل [1].

وإذا كان الأمر كذلك فمهما فرضنا النار بصفتها، وفرضنا قطنتين متماثلتين لاقتا النار على طريقة واحدة فلا يتصور أن تحترق إحداهما دون الأخرى، وبناءً على هذا الدليل أنكروا وقوع إبراهيم – عليه السلام – في النار مع عدم الاحتراق، وبقاء النار ناراً، وذلك لا يمكن في زعمهم إلا بسلب الحرارة من النار، وذلك يخرج عن كونها ناراً، أو بقلب ذات إبراهيم – عليه السلام – حجراً، أو شيئا لا تؤثر فيه النار، لا هذا ممكن ولا ذاك.

والجواب عن هذا الدليل من وجهين:

الوجه الأول: نحن لا نُسَلِّمُ أن المبادئ ليست تفعل بالاختيار، وأن الله – سبحانه وتعالى – لا يفعل بالإرادة، فإذا ثبت أن الفاعل يخلق الاحتراق بإرادته عند ملاقاة القطن النار، أمكن في العقل ألا يخلق الاحتراق مع وجود الملاقاة.

الوجه الثاني: أننا نسلِّم أن النار خلقت خلقة، إذا لاقاها قطنتان متماثلتان أحرقتهما، ولا تفرق بينهما، ومع هذا يجوز أن يلقى نبي في النار فلا يحترق إما بتغيير صفة النار، أو بتغيير صفة النبي – عليه السلام – فيحدث من الله – سبحانه وتعالى – أو من الملائكة صفة في النار تقصر سخونتها على جسمها بحيث لا تتعداه فَيُبْقِي معها سخونتها وأثرها، ويُحْدِث في بدن النبي صفة لا تخرجه عن كونه لحماً وعظماً فيدفع أثر النار.

والدليل على ذلك فإنا نرى من يطلى نفسه بالطلاء، ثم يقع في تنور موقد، لا يتأثر بالنار، والذي لم يشاهد ذلك ينكره. فإنكار الفلاسفة اشتمال القدرة على إثبات صفة من الصفات في النار، أو في البدن تمنع من الاحتراق، كإنكار من لم يشاهد الطلاء وأثره. وفي

(١) نفس المصدر (٢٣٦ - ٢٤٠).

مقدورات الله – ﷻ –غرائب وعجائب والإنسان لا يشاهد جميعها، فلا يستدعي ذلك لإنكار إمكانها والحكم باستحالتها.

وكذلك إحياء الموتى، وقلب العصا حية، يمكن بهذا الطريق، وهو أن المادة قابلة لكل شيء، فالتراب وسائر العناصر يستحيل نباتاً، ثم النبات يستحيل عند الأكل للحيوان له دماً ثم الدم يستحيل منياً، ثم المني ينصبُّ في الرحم فيتخلق حيواناً، وهذا بحكم العادة واقع في زمان متطاول، ولا استحالة في مقدور الله – ﷻ – أن يدير المادة في هذه الأطوار في وقت أقرب مما عهد إليه، وإذا جاز في وقت أقرب فلا ضبط للأقل، فتستعجل هذه القوى في عملها، ويحصل به ما هو معجزة للنبي – عليه السلام – [(١)].

هذا ما تقدم من ردِّ الإمام الغزالي على الفلاسفة يلاحظ عليه أنه مبني على أصول الأشاعرة في مسألة الأسباب والمسببات حيث تعتقد الأشاعرة أن الله – ﷻ – يخلق الأشياء عندها لا بها، وذلك بحدوث الأسباب العادية، وعدم تأثيرها فيما قارنها من المسببات ولكن الله – ﷻ – جعلها أمارات على ما شاء من الحوادث من غير ملازمة بينهما، والمثال على ذلك: إذا كان الاحتراق يقع عقيب مماسة النار والري بعد الشرب فليس للمماسة ولا للشرب دخل في وجود الاحتراق أو الري، بل الكل وقع طبقاً لقانون جازم مرغم، له أن يوجد الاحتراق بدون مماسة، أو الري بدون شرب، وكذلك في سائر الأفعال. معنى ذلك، أنهم ينكرون علاقة السببية [(٢)].

يقول الرازي: "أن مذهبه –أي الإمام الأشعري– أن يجوز انقلاب الجبال ذهباً إبريزاً ويجوز انقلاب مياه الأودية دماً وغيره، ويجوز حدوث الإنسان من غير أبويين. وبالجملة فينكر جميع التأثيرات والطبائع والقوى" [(٣)].

وقد ناقشهم شيخ الإسلام – رحمه الله – في هذه المسألة، وذكر أن مذهب الجمهور على خلاف ما ذهبت إليه الأشاعرة، ونفس تصور هذا القول –أي إنكار الأسباب– كافٍ في العلم بفساده، ثم بيَّن فساده من وجهين:

---

(١) نفس المصدر (٢٤٠- ٢٤٦).
(٢) انظر: الأسباب والمسببات للدكتور محمد عبد الله الشرقاوي (٦٥ – ٧٣) دار الجيل، بيروت.
(٣) انظر: النبوات وما يتعلق بها للرازي (١٠٠) تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية.

أحدهما: أن الأشاعرة يجيزون انتقاض العادة، ولكنهم لا يذكرون لانتقاضها أي سبب أو حكمة، ومن هنا نشأ عندهم الخلط في التفريق بين معجزات الأنبياء وبين كرامات الأولياء وسحر السحرة إلا في دعوى النبوة، والتحدي بالمعارضة مع عدمها، مع أن التحدي بالمعارضة قد يقع من المشرك، بل من الساحر، فلم يثبتوا فرقا يعود إلى جنس الخوارق المفعولة، ولا إلى قصد الفاعل والخالق، ولا قدرته ولا حكمته.

الثاني: أن العادة لا بد لها من أسباب وموانع، يُعلم بها اطرادها تارة، وانتقاضها أخرى كسائر ما يحدثه الله من الأمور الخارقة للعادة، فإنه لا يُحْدِثُ إلا بإحداث أسباب ودفع موانع مثال ذلك: غرق قوم نوح –عليه السلام– فإنه لم يكن ماءً وجد بلا سبب، بل أنزل الله ماء السماء وأنبع ماء الأرض. وكذلك عاد لما أهلكهم أرسل الريح الصرصر سبع ليال وثمانية أيام حسوماً. وهكذا آيات موسى – عليه السلام – مثل انقلاب العصا حية كانت بعد أن ألقاها، إما عند أمر الله له بذلك لما ناداه من الشجرة، وإما عند مطالبة فرعون له بالآية، وإما معارضة السحرة لتبتلع حبالهم وعصيهم وهكذا جميع آيات الأنبياء [١].

ويرى –أي شيخ الإسلام– في إنكار الأسباب مخالفة لصريح القرآن الكريم ويقول: "ومع هذا لا ينكرون –أي أهل السنة والجماعة– ما خلقه الله من الأسباب التي يخلق بها المسببات كما قال – سبحانه وتعالى – ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وقال – سبحانه وتعالى – ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٦]. وقال – سبحانه وتعالى – ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦]. فأخبر أنه يفعل بالأسباب. ومن قال: يفعل عندها لا بها فقد خالف ما جاء به القرآن وأنكر ما خلقه الله من القوى والطبائع" [٢].

الخلاصة نظرية الأشاعرة في الأسباب أن الله يخلق عندها لا بها ومذهب السلف أن الأسباب تؤثر في مسبباتها بقوة أودع الله فيها. وقد نسب الله –تعالى– التأثير في الأشياء إلى أسبابها وهذه النسبة حقيقية لا مجازية، فمذهب السلف هو الموافق للشرع والواقع.

(١) انظر: دلائل النبوة (٢٨٦ ـ ٢٨٩).
(٢) انظر: التدمرية (٢١٠) تحقيق: محمد بن عودة السعوي، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ) شركة العبيكان، الرياض.

ثم إن شيخ الإسلام – رحمه الله – ناقش الفلاسفة في مسألة المعجزة فدحض حججهم وفنَّد مزاعمهم، وذكر أن الفلاسفة جعلوا للنبوة ثلاث خصائص:

الأولى: أن تكون للنبي قوة قدسية، وهي قوة الحدس بحيث يحصل له من العلم بسهولة مالا يحصل لغيره إلا بكلفة شديدة.

الثانية: قوة التخيل والحس الباطن بحيث يتمثل له ما يعلمه في نفسه، فيرى صوراً نورانية وهي عندهم الملائكة. ويسمع أصواتاً، وهي عندهم كلام الله.

الثالثة: أن تكون له قوة نفسانية يتصرف بها في هيولى العالم، كما أن العائن له قوة نفسانية يؤثر بها في المعين، ويزعمون أن معجزات الأنبياء هي من قبيل هذه القوى النفسانية. وبناءً على هذه الطريقة أنكروا معجزات الأنبياء – عليهم السلام – [1].

وهذه الطريقة التي سلكها الفلاسفة في معجزات الأنبياء باطلة من وجوه كثيرة منها:

الأول: تأثير قوى النفس لا يبلغ مبلغ معجزات الأنبياء، فنزول ماء الطوفان الذي أغرق أهل الأرض في زمن نوح – عليه السلام – لم يكن بتأثير النفس، وهكذا إرسال الريح العقيم لمدة سبع ليال وثمانية أيام التي أهلكت عاداً، لم يكن بتأثير النفس. وكذلك نزول المن والسلوى على قوم موسى – عليه السلام – وتظليلهم بالغمام حيثما ساروا لم يكن بتأثير قوة النفس، وهكذا معجزات جميع الأنبياء [2].

الثاني: من معجزات الأنبياء ما لا يكون النبي شاعراً به، وتأثير النفوس مشروط بشعورها فإن النفس حية مريدة تفعل بإرادتها، والفعل الاختياري الإرادي مشروط بالشعور وخوارق العادات التي للأنبياء منها ما لا يكون النبي شاعراً به، ومنها ما لا يكون مريداً له فلا يكون ذلك من فعل نفسه، بل ومنها ما يكون قبل وجوده، ووجود قدرته، ومنها ما يكون بعد موته ومفارقة نفسه لهذا العالم [3].

---

(١) انظر: الصفدية (٦/١، ٧) تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ) دار الهدي النبوي، المنصورة. أيضاً: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٦٦، ٦٧) تحقيق: بشير محمد عيون، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ) مكتبة المؤيد، الرياض.

(٢) المصدر السابق (١/ ١٨٣، ١٨٤).

(٣) نفس المصدر السابق (٢١٩/١-٢٢٢).

الثالث: ما خصَّ به الأنبياء من قوى وفضائل ليس سبب المعجزات، بل هي من تفضيل الله لأنبيائه في أنفسهم من العلم والعمل، ورجاحة العقل، ومكارم الأخلاق، ما يمتازون به على غيرهم، كما جاء في مقولة خديجة – رضي الله عنها – للنبي – ﷺ – لما جاءه الوحي، وخاف على نفسه فاستدلت بعقلها على أن من جعل الله فيه هذه المحاسن، لم يكن من سنته وعدله أن يخزيه، بل يكرمه ويعظمه، فإنه قد عُرِفَ من سنة الله في عباده إكرامه لأهل الخير، وإهانته لأهل الشر (١).

فتبيَّن مما سبق أن المعجزات ليس من تأثير قوى البشر، ولا نفوسهم، ولا أبدانهم ولا قوى الأجسام الطبيعية، ولا القوى الفلكية، بل هي أمر خارج عن هذا كله، والله أعلم.

الطائفة الثانية: الطبعيون:

ومن الذين أنكروا المعجزة **الطبعيون** فقالوا بامتناع المعجزة لأن تجويز خرق العادة سفسطة لو جاز خرق العادة، لجاز انقلاب الجبل ذهباً، وماء البحر دماً، وأواني البيت رجالاً وتولد الشيخ دفعة بلا أب ولا أم، وهذا خبط وإخلال في قواعد الطبيعة.

الجواب: يرد عليهم أن وقوع خرق العادات ليس أشد عجباً من أول خلق السموات والأرض وما بينهما، ومن انعدامها فالخالق الباري يقدر على خلق هذا الكون العجيب بما فيه من أنواع المخلوقات، قادر على خرق العادات لإثبات صدق رسوله الذي أرسل لهداية البشر. وعدم وقوع بعض الخوارق لا ينافي إمكانها، كما نشاهد ذلك في المحسوسات، فإنا نجزم بأن حصول الجسم المعين في الحيز المعين لا يمتنع فرض عدمه بدله مع الجزم به للحس. والعادة أحد طرق العلم كالحس، وخرق العادات إعجازاً وكرامةً عادة مستمرة (٢).

---

(١) المصدر نفسه (١/٢٢٥، ٢٢٦).

(٢) انظر: المواقف في علم الكلام (٣٤٥).

الطائفة الثالثة: من أثبت المعجزة وأنكر دلالتها على صدق النبوة، وذلك للشبه الآتية:

الأولى: يحتمل كون الأمر الخارق من فعل النبي لا من فعل الله، إما لمخالفة نفسه لسائر النفوس، أو لمزاج خاص في بدنه، أو لكونه ساحراً، أو لكونه عارفاً لطلسمات، أو خاصية المركبات كالمغناطيس والكهرباء.

الثانية: يحتمل استناده إلى بعض الملائكة أو الشياطين أو إلى الاتصالات الكوكبية وقد أتقن من صناعة النجامة، فاتخذ من علمه من الغرائب معجزاً لنفسه.

الثالثة: يحتمل أن يكون الأمر الخارق كرامةً ليست معجزة.

الرابعة: يحتمل ألا يقصد به التصديق، إذ لا غرض واجباً ولا يتعين، إذ لعله غير التصديق، كإيهامه ليحترز عنه بالاجتهاد فيثاب كإنزال المتشابهات، أو لتصديق نبي آخر.

الخامسة: أنه لا يلزم من تصديق الله صدقه، إلا إذا علم استحالة الكذب على الله، ولم يعلم.

السادسة: يحتمل أن التحدي لم يبلغ من هو قادر على المعارضة، أو لعله تركها مواضعة في إعلاء كلمته لينال من دولته حظاً.

السابعة: المعارضون استهانوا به أولاً، وخافوه آخراً لما اشتدت شوكته، أو شغلهم ما يحتاجون إليه في تقويم معيشتهم عنه.

الثامنة: لعله عورض، ولم يظهر لمانع، أو ظهر ثم أخفاه أصحابه عند استيلائهم وطمسوا آثاره، مع قيام هذه الشبهات لا يبقى لها دلالة على الصدق[١].

الجواب: يرد عليهم إجمالاً أن التجويزات العقلية لا تنافي العلم العادي. والجواب التفصيلي كالتالي:

الجواب عن الشبهة الأولى:

هذه الشبهة مردودة لأن السحر والطلسمات وغيرها من الخوارق ليس من قبيل المعجزات، إذ أن معجزات الأنبياء هي آيات نبوتهم، وبراهين صدقهم، وهي مختصة للأنبياء

(١) نفس المصدر (٣٤٥).

وملازمة لهم غير مشتركة بين الأنبياء وغيرهم، كما أن هذه الآيات خارجة عن مقدور الإنس والجن، والجن تابع للإنس في هذا الباب [١].

وعن الثانية: استناده إلى الملائكة أو الشياطين أو الاتصالات الكوكبية، لا تنفع شيئاً لأنه لا خالق إلا الله.

وعن الثالثة: أن الكرامة لا تبلغ درجة المعجزة، وقيل: إنها لا تقع على القصد وقد تقدم الفرق بين المعجزة والكرامة.

وعن الرابعة: نحن لا نقول بالفرض، بل نقول إن خلقها يدل على تصديق له قائم بذاته.

وعن الخامسة: أن الكذب ممتنع على الله – ﷻ – ومحال عليه.

وعن السادسة: إذا أتى بما يعلم بالضرورة أنه خارق للعادة وعجز من في قطره عن المعارضة علم ضرورة صدقه.

وعن السابعة: يعلم عادةً المبادرة إلى معارضة من يدعي الانفراد بأمر جليل فيه التفوق على أهل زمانه، واستتباعهم والحكم عليهم في أنفسهم ومالهم، فهذا يدل أنهم بذلوا قصارى جهدهم لمعارضة الخوارق فعجزوا.

وعن الثامنة: كما علم بالعادة وجوب معارضته، علم وجوب إظهارها، إذ به يتم المقصود، واحتمال المانع للبعض في بعض الأوقات والأماكن، لا يوجب احتماله في الجميع فلو وقعت المعارضة، لاستحالت إخفائها مطلقاً [٢].

الطائفة الرابعة: من أنكر إفادتها بعد زمنها للعلم لكونها نقلت آحاداً، ولو نقلت بالتواتر أيضاً لا يفيد العلم لوجوه:

الوجه الأول: أهل التواتر يجوز الكذب على كل واحد منهم، فكذا الكل إذ ليس كذب الكل إلا كذب كل واحد.

(١) انظر: النبوات (١٩٦، ٢٥٥).
(٢) المصدر السابق (٣٤٥ - ٣٤٧)

الوجه الثاني: أن حكم كل طبقة حكم ما قبلها بواحد، فإن من جوَّز إفادة المائة للعلم أجاز إفادة التسعة والتسعين له قطعاً، ولم يحصره في عدد، فلنفرض طبقة لا تفيده، ثم نزيد عليه واحداً واحداً فلا يفيده بالغاً ما بلغ.

الوجه الثالث: لو أوجب التواتر العلم، لأوجبه خبر الواحد، وذلك أن التواتر لا يشترط فيه اجتماع أهله اتفاقاً، بل يحصل بخبر واحد بعد واحد فالموجب له هو الخبر الأخير.

والجواب عن الوجوه المذكورة على التوالي كالآتي:

الجواب عن الوجه الأول: منع مساواة حكم الكل لحكم كل واحد، لما يرى من قوة العشرة على تحريك ما لا يقوى عليه كل واحد.

الجواب عن الوجه الثاني: أن حصول العلم عند التواتر بخلق الله – ﷻ – إياه وقد يخلقه بعدد دون عدد. وأنه يختلف بالوقائع والمخبرين والسامعين [١].

الجواب عن الوجه الثالث: هذا الوجه مردود، لأن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، عملاً به، وتصديقاً له، يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة. فقد احتجُّوا بالخبر الواحد في مسائل الصفات، والقدر وعذاب القبر ونعيمه، وسؤال الملكين، وأشراط الساعة وما جاء في صفة القيامة والحشر والنشر وما إلى ذلك من مسائل العقيدة [٢].

الطائفة الخامسة: من جعلها من قبيل الحيل والشعوذة:

وأن لها أسباباً وقوى يستطيع من يتعلمها أن يأتي بمثلها، فهي إذاً لا تدل على نبوة من ظهرت على يديه.

يرد عليهم أن هناك فرقاً بين المعجزة وبين ما يتوصل إليه بالحيلة والشعوذة من عدة وجوه:

الوجه الأول: المعجزة تكون من جهة الله – ﷻ – وليس كذلك الحيل والشعوذة.

الوجه الثاني: المعجزة تكون خارقة للعادة، وليس هكذا ما يتوصل إليه بالحيلة وخفة اليد.

---

(١) المصدر نفسه (٣٤٧، ٣٤٨).
(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٥٠١/٢ - ٥٠٥).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الثالث ٢٠١٩م

الوجه الثالث: الحيلة مما يمكن أن تتعلم وتعلم، وليس كذلك المعجزة.

الوجه الرابع: الحيل يقع فيها الاشتراك أي: يؤديها أكثر من واحد، بخلاف المعجزة فإنها تجري على يد واحد وهو النبي.

الوجه الخامس: الحيلة تفتقر إلى آلات وأدوات لو فقدت واحدة منها لم تنفذ وليس كذلك المعجزة.

الوجه السادس: أن المشعوذ والمحتال إنما ينفذ حيلته على من لم يكن من أهل صناعته ولا يكون له بها دراية ومعرفة، وليس هو حال المعجزة، فقد جعل الله – ﷻ – معجزة كل نبي ما يتعاطاه أهل زمانه [(١)].

المبحث الثاني: دلالة المعجزة

مما لا شك فيه أن دلالة المعجزة على صدق الرسول – ﷺ – في دعواه يقينية، والمعجزة تثبت إثباتاً لا شك فيه أن الذي جرت على يديه هو رسول من عند الله. وهذه الدلالة اليقينية تلزم من عاصر، ومن غاب عنه وجاء بعده، لأن الذين يشاهدون المعجزة يكونون عدداً كثيراً، فإذا نقل العدد الكثير أمر المعجزة إلى الغائبين، كان ذلك حجة عليهم توجب تصديقهم بها، وذلك هو الحاصل في حياة الناس والمركوز في فطرهم. فإذا قلنا إن المعجزة تدل على صدق صاحبها في دعوى النبوة، فهذه الدلالة هل هي عقلية، أو عادية، أم وضعية؟ اختلف فيه العلماء على مذاهب:

أولاً: مذهب الأشاعرة: ذهبت الأشاعرة إلى ظهور المعجز على يد مدعي النبوة كذباً ممكن عقلاً، فيجوز عندهم عقلاً أن يظهر الله على يد مدعي النبوة كذباً خارقاً للعادة يكون معجزة له على حسب ما ادعاه، إلا أنه جرت سنة الله في هذا الكون ألا يحدث ذلك الأمر. وحينئذٍ يكون ذلك مثل غروب الشمس في المغرب، ويجوز عقلاً لله – ﷻ – أن يجعل غروبها في المشرق لكون ذلك داخلاً في قدرة الله المطلقة ولكن سنة الله جرت على غروبها في المغرب وأما غروبها في المشرق فمنتفٍ عادةً وإن جاز عقلاً.

---

(١) انظر: عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم للدكتور محمد أبو النور الحديدي (٥٤، ٥٥) مطبعة الأمانة، بدران شبرا، مصر.

وبناءً على هذا قالت الأشاعرة: إن دلالة المعجزة على صدق صاحبها في دعواه النبوة ليست عقلية بل عادية بمعنى أن العادة التي أجراها الله في خلقه أن يخلق العلم لدى المرسل إليهم بصدق الرسول عقب ظهور المعجزة على يده، فيمكن عقلاً تخلف الصدق عنه، وإن كانت العادة جرت على عدم التخلف. واستدلوا على ذلك بما سيقع عند قيام الساعة، فأشراط الساعة، وما يقع عند قيامها من خوارق للعادة ومع ذلك لا يدل ظهور هذه الخوارق على صدق أي مدعٍ للنبوة(١).

ثانياً: مذهب أبي الحسن الأشعري ومن تبعه: وأما الأشعري نفسه، ومن تبعه من الأشاعرة خلافاً لجمهورهم فقد قالوا في مسألة ظهور المعجز على يد الكاذب أنه غير جائز عقلاً، لأن للمعجزة دلالة قطعية على الصدق يمتنع التخلف فيها، فلا بد لها من وجه دلالة إذ به يتميز الدليل الصحيح عن غيره، وإن لم نعلم ذلك الوجه بعينه. فإن دل المعجز المخلوق على يد الكاذب على الصدق كان الكاذب صادقاً، وهو محال، وإلا انفكَّ المعجز عما يلزمه من دلالته القطعية على مدلوله وهو أيضاً محال (٢).

ويتضح من ذلك أن دلالة المعجزة على صدق صاحبها عند الأشعري، ومن تبعه دلالة عقلية ليست عادية.

ثالثاً: مذهب الماتريدية: قالت الماتريدية أن ظهور المعجز على يد الكاذب مستحيل عقلاً لأن ذلك يوجب التسوية بين الصادق والكاذب، وعدم التفرقة بين النبي والمتنبي، وهو سفه لا يليق بالله الحكيم (٣).

رابعاً: مذهب المعتزلة: وقالت المعتزلة: إن خلق المعجز على يد الكاذب مقدور لله – ﷻ – لعموم قدرته، لكنه ممتنع وقوعه في حكمته، لأن فيه إيهام صدقه وهو إضلال قبيح من الله – ﷻ – فيمتنع صدوره عنه (٤). وتقتضي ذلك أنهم رأوا أن دلالة المعجزة على صدق صاحبها في دعواه النبوة عقلية، وليست عادية، فلا يجوز عقلاً تخلف الصدق عنه.

---

(١) انظر: شرح المواقف للجرجاني (٣/ ١٨١، ١٨٢) طبعة (١٣١١هـ) دار الطباعة العامرة.
(٢) نفس المصدر (٣/ ١٨٢).
(٣) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (١٣٢/٢) طبعة (١٣١٥هـ) مطبعة الحاج محرم أفندي، استانبول.
(٤) انظر: شرح المواقف (٣/ ١٨٢).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الثالث ٢٠١٩م

خامساً: رأي الشيخ محمد عبده: يرى الشيخ محمد عبده أن دلالة المعجزة على صدق النبوة وضعية حيث يقول في رسالة التوحيد:

"المعجزة لا بد أن تكون مقرونة بالتحدي عند دعوى النبوة، وظهورها من البراهين المثبتة لنبوة من ظهرت على يده لأن النبي يستند إليها في دعواه أنه مبلغ عن الله فإصدار الله لها عند ذلك يُعَدُّ تأييداً منه له في تلك الدعوى، ومن المحال على الله أن يؤيد الكاذب، فإن تأييد الكاذب تصديق له، وتصديق الكاذب كذب، وهو محال على الله – ﷻ – فمتى ظهرت المعجزة وقارن ظهورها دعوى النبوة، علم بالضرورة أن الله ما أظهرها إلا تصديقاً لمن ظهرت على يده، وإن كان هذا العلم قد يقارنه الإنكار مكابرةً"[(١)]. ويتضح من كلام "الإمام محمد عبده" أن دلالة المعجزة نزلت منزلة التصديق بالقول: "صدق عبدي فيما يبلغ عني".

الراجح في هذه المسألة

هذا ما تقدم عن المتكلمين قد تعقبه شيخ الإسلام – رحمه الله – وذكر أن كلا القولين صحيح، لأن دلالة المعجزات على نبوة الأنبياء تكون ضرورية وتكون نظرية أيضاً وقال: "فجميع الأدلة تُعلم بالعقل دلالتها على المدلول، فإن ذلك اللفظ إنما يدل إذا عُلِم أن المتكلم أراد به هذا المعنى، وهذا قد يُعْلَمُ ضرورةً، وقد يُعْلَمُ نظراً..."[(٢)].

وقال في موضع آخر: "قد تقدم أن للناس في وجه دلالة المعجزات، وهي آيات الأنبياء على نبوتهم طرق متعددة: منهم من قال دلالتها على التصديق تُعلم بالضرورة. ومنهم من قال تعلم بالنظر والاستدلال، وكلا القولين صحيح"[(٣)].

ويبدو واضحاً من كلام شيخ الإسلام أن دلالة المعجزة على صدق صاحبها دلالة عقلية ووضعية معاً، وهذا هو الحق والراجح، والله أعلم.

(١) انظر: رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده (٩٠) الطبعة الأولى (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) دار إحياء العلوم، بيروت.
(٢) انظر: النبوات (١١١).
(٣) نفس المصدر (٢٢٣).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الثالث ٢٠١٩م

هل تتأخر دلالة المعجزة عن التحدي؟

تقدم الحديث عن إثبات المعجزة، ودلالتها على صدق الرسول – ﷺ – في دعواه، وأن هذه الدلالة عقلية، ووضعية في نفس الوقت ثم إن هذه الدلالة مقترنة بالتحدي، لا تتأخر عنه بل تستمر معه.

يقول الشهرستاني "ولا تتأخر الدلالة عن نفس التحدي، لأن المتصدي للمعارضة يحس من نفسه عجزاً مع استمرار عادته بمثل ذلك التحدي: فيقول النبي: إني رسول الله إليكم وآية صدقي ألا يعارضني معارض في هذه الدعوى والنفوس متطلعة، والألسن سليمة والدواعي باعثة، فتتحير العقول، وتنحصر الألسن وتتراجع الدواعي فيدل ذلك على صدق دعوى ذلك النبي" [(١)].

فتبين أن دلالة المعجزة على صدق صاحبها مقترنة بالتحدي ولا تتأخر عنه لأن المعارض يحس العجز إذا كان التحدي مقروناً بالدلالة ومستمراً بها.

والله أعلم.

(١) انظر: نهاية الأقدام في علم الكلام للشهرستاني (٤٢٤) تصحيح: الفرد جيوم، مكتبة المثنى بغداد.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الثالث ٢٠١٩م

-: الخاتمة :-

كان هذا بحثاً عن جوانب عديدة في موضوع المعجزة، وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى نتائج عديدة أهمها كالآتي:

- أولاً: المعجزة ليست هي الدليل الوحيد على صدق الرسول - ﷺ - بل هناك أشياء أخرى تدل عليه أمثال المسلك الشخصي والمسلك النوعي.
- ثانياً: تسمية خوارق الأنبياء بالآية، والبرهان، والبينة أكثر دلالة على المقصود من تسميتها بالمعجزة.
- ثالثاً: معجزات سيدنا محمد - ﷺ - استوعبت معجزات جميع الأنبياء.
- رابعاً: الكرامة جائزة عقلاً وثابتة شرعا وواقعة فعلاً لأنها نابعة من معين المعجزة.
- خامساً: لا تختلط المعجزة بالخوارق الأخرى، لأنها دليل على صدق الرسول - عليه الصلاة والسلام -
- سادساً: دلالة المعجزة على صدق الرسول - ﷺ - عقلية ووضعية معاً.
- سابعاً: أن دلالة المعجزة تكون مقترنة بالتحدي، ومستمرة به، لا تتأخر عنه.
- ثامناً: تثبت المعجزة في حق غير المشاهدين لها، كما لو كانوا حاضرين مع الرسول وقت ظهور تلك المعجزة، وذلك لأنهم علموا بها عن طريق الخبر المتواتر.
- تاسعاً: الخبر الواحد المتلقى بالقبول عملاً وتصديقاً يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة.
- عاشراً: معجزة نبينا محمد - ﷺ - الخالدة الباقية إلى يوم القيامة هي القرآن الكريم.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الأسباب والمسببات، الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت.
٣. أصول الدين، الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي (٠٠٠ - ٤٢٩هـ) الطبعة الأولى (١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م) مطبعة الدولة، استانبول.
٤. إظهار الحق، الشيخ رحمت الله الهندي (٠٠٠ - ١٣٠٨هـ) تحقيق: الدكتور محمد ملكاوي، دار أولي النهى، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٥. أعلام النبوة، الإمام أبو الحسن علي بن محمد الماردوي (٠٠٠ - ٤٥٠هـ) تحقيق: سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى دار مكتبة الهلال، بيروت.
٦. البحر المحيط، محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي، (٦٥٤ - ٧٤٥هـ) مكتبة ومطابع النصر، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٧. البداية والنهاية، الحافظ إسماعيل بن عمرو بن كثير، (٧٠٠ - ٧٧٤هـ) الطبعة الأولى (١٣٥٦هـ) مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.
٨. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين بن عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني، تحقيق: الدكتورة خديجة الحديثي، الطبعة الأولى (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) مطبعة العاني، بغداد.
٩. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضي الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت.
١٠. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن المبارك فوري (١٢٨٣ - ١٣٥٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١١. التدمرية (تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع) شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ) تحقيق: محمد عودة السعوي الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض.
١٢. ترتيب القاموس المحيط، الطاهر أحمد الزاوي، الطبعة الثانية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
١٣. تفسير القرآن العظيم، الحافظ إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ - ٧٧٤هـ) الطبعة الأولى (١٣٨٥هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٤.التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) فخر الدين الرازي (٥٤٤ - ٦٠٦هـ) الطبعة الثانية دار الكتب العلمية، طهران.
١٥.تهافت الفلاسفة، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٠٠٠ - ٥٠٥هـ) تحقيق وتقديم: الدكتور سليمان دنيا، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر.
١٦.الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي (٠٠٠ - ٦٧١هـ) الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية.
١٧.جامع العلوم والحكم، الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين المعروف بابن رجب الحنبلي (٧٢٦ - ٧٩٥هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ - ١٩٩١م) مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٨.الجمل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة (١٩٩٥م) دار الجيل، بيروت.
١٩.الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ) مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر.
٢٠.درأ تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلم بن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ) تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية (١٤١١هـ - ١٩٩١م) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
٢١.دلائل النبوة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الإصبهاني (٠٠٠ - ٤٣٠هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٢.دلائل النبوة، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ) [وهو جزء من كتابه: الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح] تحقيق: الدكتور حمدان محمد الحمدان الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) مكتبة العبيكان، الرياض.
٢٣.رسالة التوحيد، محمد عبده، الطبعة الأولى (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) دار إحياء العلوم بيروت، لبنان.
٢٤.روح البيان، إسماعيل حقي البرسوي، طبعة (١٣٣٠هـ) المطبعة العثمانية.
٢٥.روح المعاني، محمود الألوسي (١٢١٧ - ١٢٧٠هـ) إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٦.زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الخامسة عشرة (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٧.شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي (٠٠٠ – ٤١٨هـ) دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.
٢٨.شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (٠٠٠ – ٤١٥هـ) تحقيق: الدكتور عبد الكريم عثمان الطبعة الأولى (١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م) مكتبة وهبة شارع الجمهورية بعابدين.
٢٩.شرح جوهرة التوحيد، إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري (١١٩٨ – ١٢٧٧هـ) طبعة (١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م) مكتبة الغزالي للطباعة والنشر والتوزيع، حماة.
٣٠.شرح العقيدة الإصفهانية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١ – ٧٢٨هـ)، تحقيق: سعيد نصر محمد الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م) مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض.
٣١.شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن أبي العز الدمشقي (٠٠٠ – ٧٩٢هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، الطبعة الخامسة (١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٢.شرح المقاصد، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني طبعة (١٣١٥هـ) مطبعة الحاج محرم أفندي، استانبول.
٣٣.شرح المواقف، شريف علي بن محمد الجرحاني (٠٠٠ – ٨١٦هـ) طبعة سنة (١٣١١هـ) دار الطباعة العامرة.
٣٤.الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي (٠٠٠ – ٥٤٤هـ) الطبعة الأخيرة (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان.
٣٥.صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ – ٢٥٦هـ) ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي وتصحيح: محب الدين الخطيب، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م) دار الريان للتراث، القاهرة.

٣٦.صحيح مسلم بشرح النووي، الطبعة الثانية (١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م) دار الفكر بيروت، لبنان.

٣٧.الصفدية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١ – ٧٢٨هـ)
تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م) دار الهدي النبوي المنصورة، مصر.

٣٨.عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم الدكتور محمد أبو النور الحديدي مطبعة الأمانة، شارع الجزيرة، بدران شبرا، مصر.

٣٩.غاية المرام في علم الكلام، سيف الدين الآمدي (٥٥١ – ٦٣١هـ) تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، طبعة (١٣٩١هـ – ١٩٧١م) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة، الجمهورية العربية المتحدة.

٤٠.فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تعليق: سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد العزيز بن باز، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) دار القلم، بيروت، لبنان.

٤١.الفرق بين الفرق، عبد القاهر ابن طاهر البغدادي الاسفرائيني (... — ٤٢٩هـ) تحقيق محمد محي الدّين عبد الحميد، طبعة (١٤١١هـ – ١٩٩٠م) المكتبة العصرية، بيروت لبنان.

٤٢.الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١–٧٢٨هـ) الطبعة الأولى (١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) مكتبة المؤيد، الرياض.

٤٣.الفقه الأكبر، الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (٨٠ – ١٥١هـ) الطبعة الثانية (١٣١٣هـ – ١٩٥٣م) مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند.

٤٤.الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد على الشوكاني (٠٠٠ – ١٢٥٠هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى اليماني، الطبعة الأولى (١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م) مكتبة السنة المحمدية.

٤٥.كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد إمام الحرمين عبد الملك الجويني (٤١٩ – ٤٧٨هـ) تحقيق: الدكتور موسى يوسف وعلي عبد النعيم عبد الحميد، طبعة (١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م) مطبعة السعادة، مكتبة الخانجي بمصر.

٤٦. كتاب السير والمغازي، محمد بن إسحاق (٠٠٠ – ١٥١هـ) تحقيق: الدكتور سهيل زكار، الطبعة الأولى (١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م) دار الفكر.
٤٧. كتاب الشريعة، الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (٠٠٠ – ٣٦٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله عمر الدميجي، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ – ١٩٩٧م).
٤٨. لسان العرب، العلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (٦٣٠ – ٧١١هـ) راجعه: نخبة من الأساتذة المتخصصين، طبعة (١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م) دار الحديث القاهرة.
٤٩. مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٦٦١ – ٧٢٨هـ) جمع وترتيب: عبد الرحمن العاصمي النجدي وابنه محمد، طبعة (١٤٠٤هـ) إدارة المساحة العسكرية بالقاهرة، تنفيذ: مكتبة النهضة الحديثة، مكة، شارع الحرم.
٥٠. مختار الصحاح، محمد بن أبو بكر الرازي، ترتيب: محمود خاطربك، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان.
٥١. المعجزات المحمدية، وليد الأعظمي، الطبعة الثانية (١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م) المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق.
٥٢. معجزات المصطفى – ﷺ – خير الدين وايلي الطبعة الأولى (١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م) مؤسسة ومكتبة الخافقين، دمشق.
٥٣. معجم مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن المفضل الراغب الإصفهاني (٠٠٠ – ٥٠٢هـ) تحقيق: نديم مرعشلي طبعة (١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م) دار الفكر، بيروت لبنان.
٥٤. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٠٠٠ – ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية (١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
٥٥. المِلل والنحل، محمد عبد الكريم الشهرستاني (... — ٥٤٨هـ) تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، دار الفكر، بيروت، لبنان.
٥٦. المواقف في علم الكلام، القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، عالم الكتب، بيروت.
٥٧. النبوات وما يتعلق بها، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، تحقيق: الدكتور أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية.

٥٨. النبوات، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ) تصحيح: الشيخ محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية.
٥٩. نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم- في القرآن، حسن ضياء الدين عتر، الطبعة الأولى (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) دار النصر، حلب، سوريا.
٦٠. نهاية الأقدام في علم الكلام، محمد عبد الكريم الشهرستاني (٤٧٩ - ٥٤٨هـ) تصحيح: الفرد جيوم، مكتبة المثنى، بغداد.